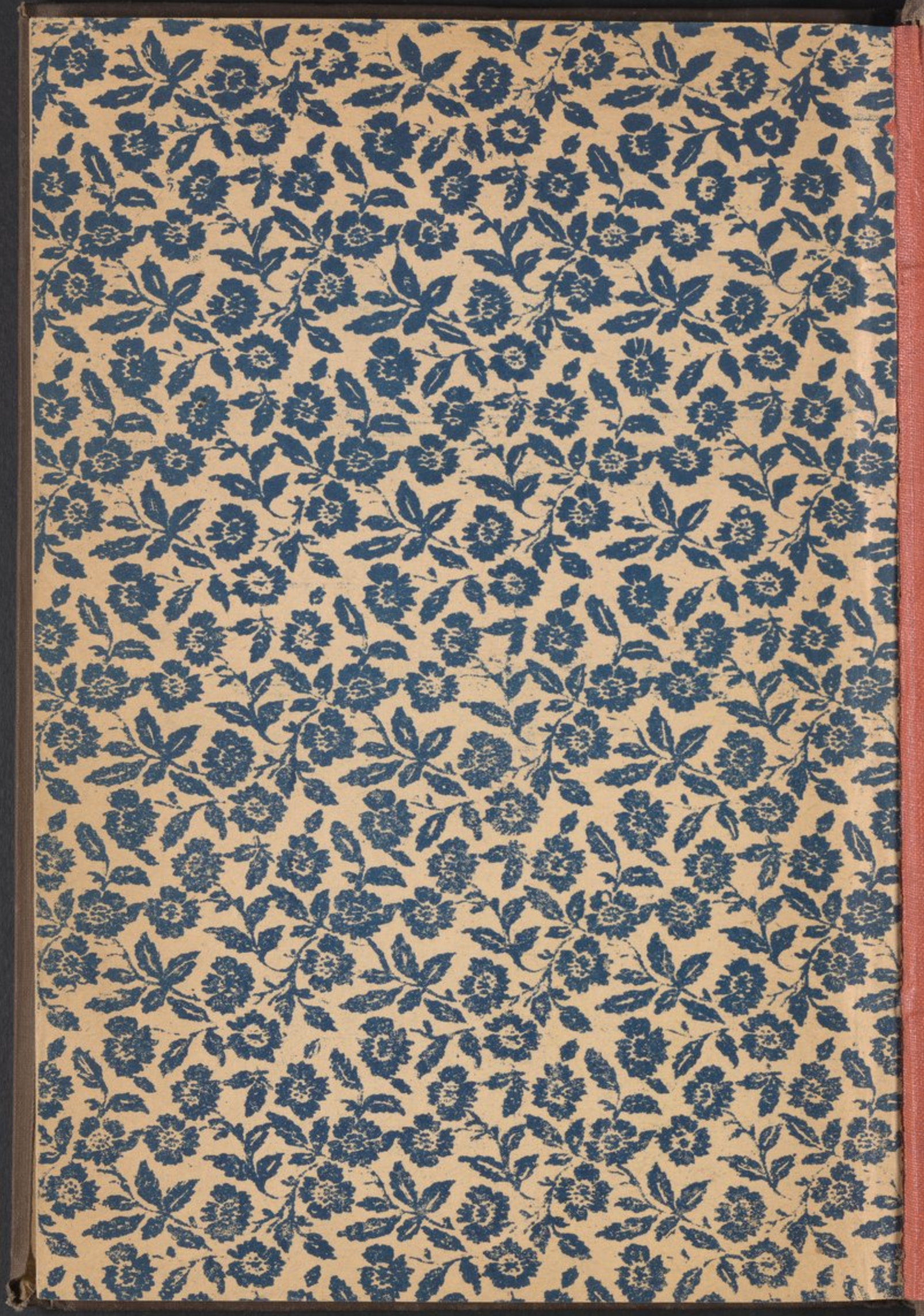
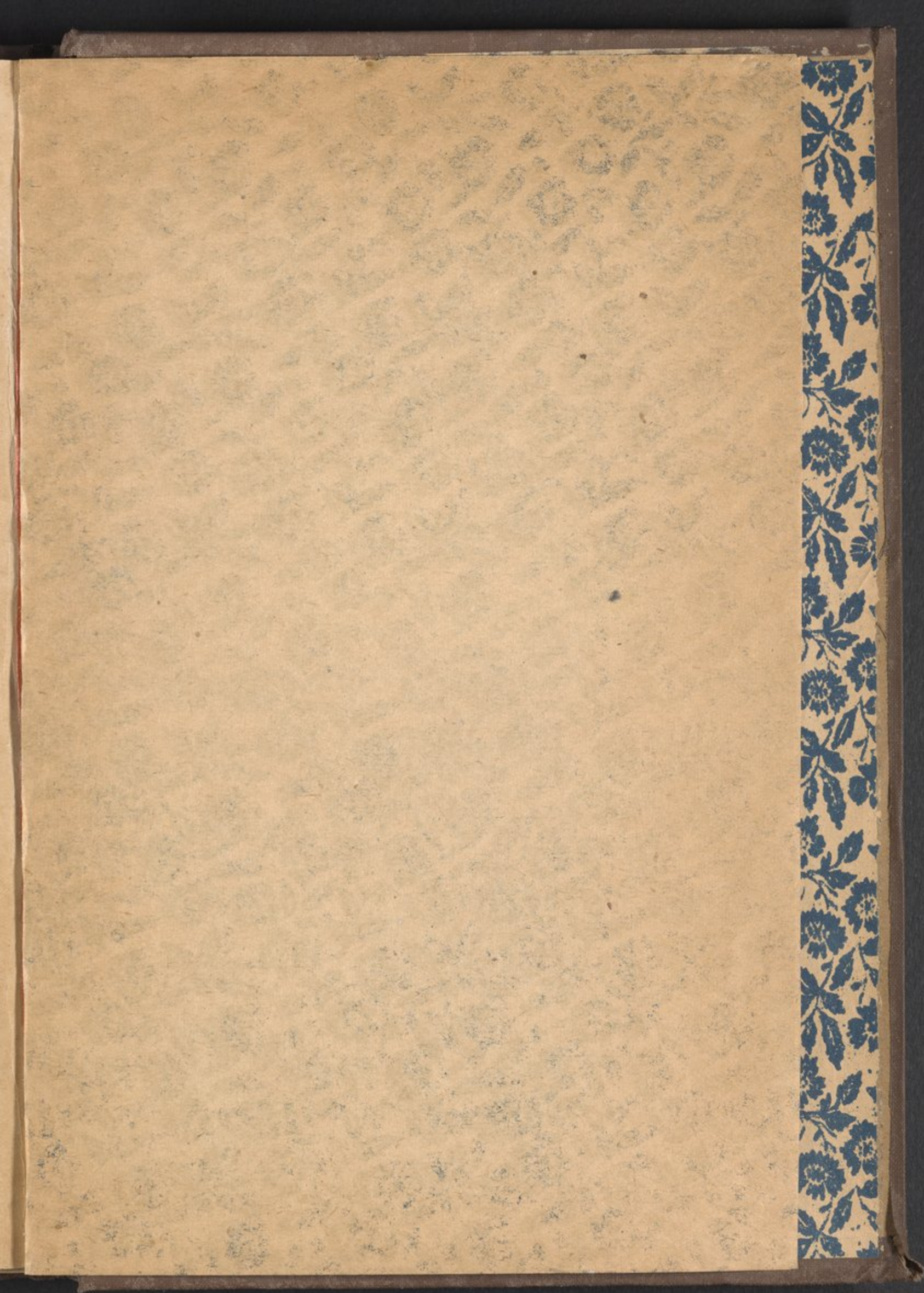


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01576 4982







تذكار سيرة محمد الرضا والفاضل والاعلى المبلغ محمد حسن آغا الرضوي
بمعدن دكتر
٢١/٨/١٨

PJ

6075

A49

1923

C.2

كتاب

التحذير في أصول التفسير

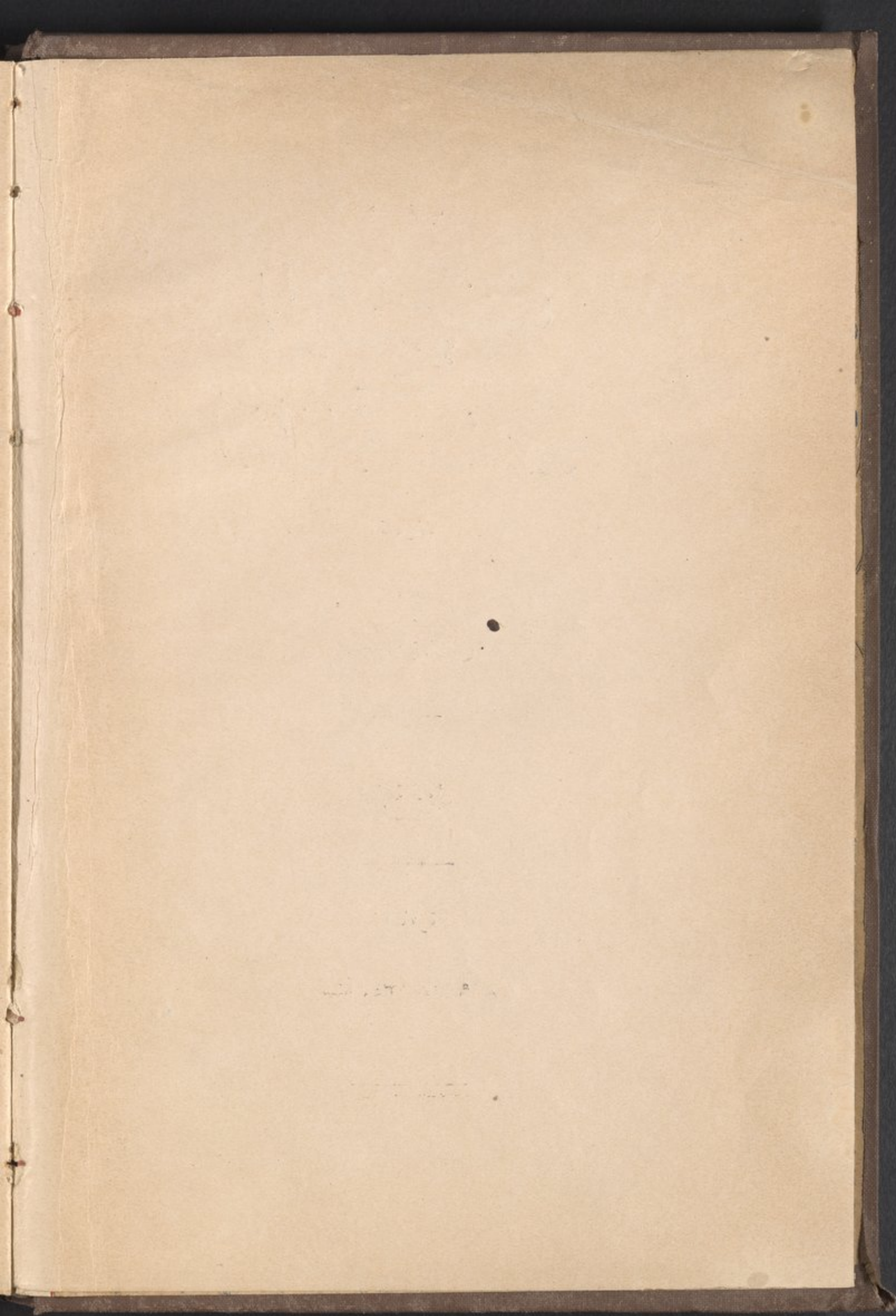
تصنيف

الذكي
الحمداني عيسى

الطبعة الاولى

القاهرة

سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م



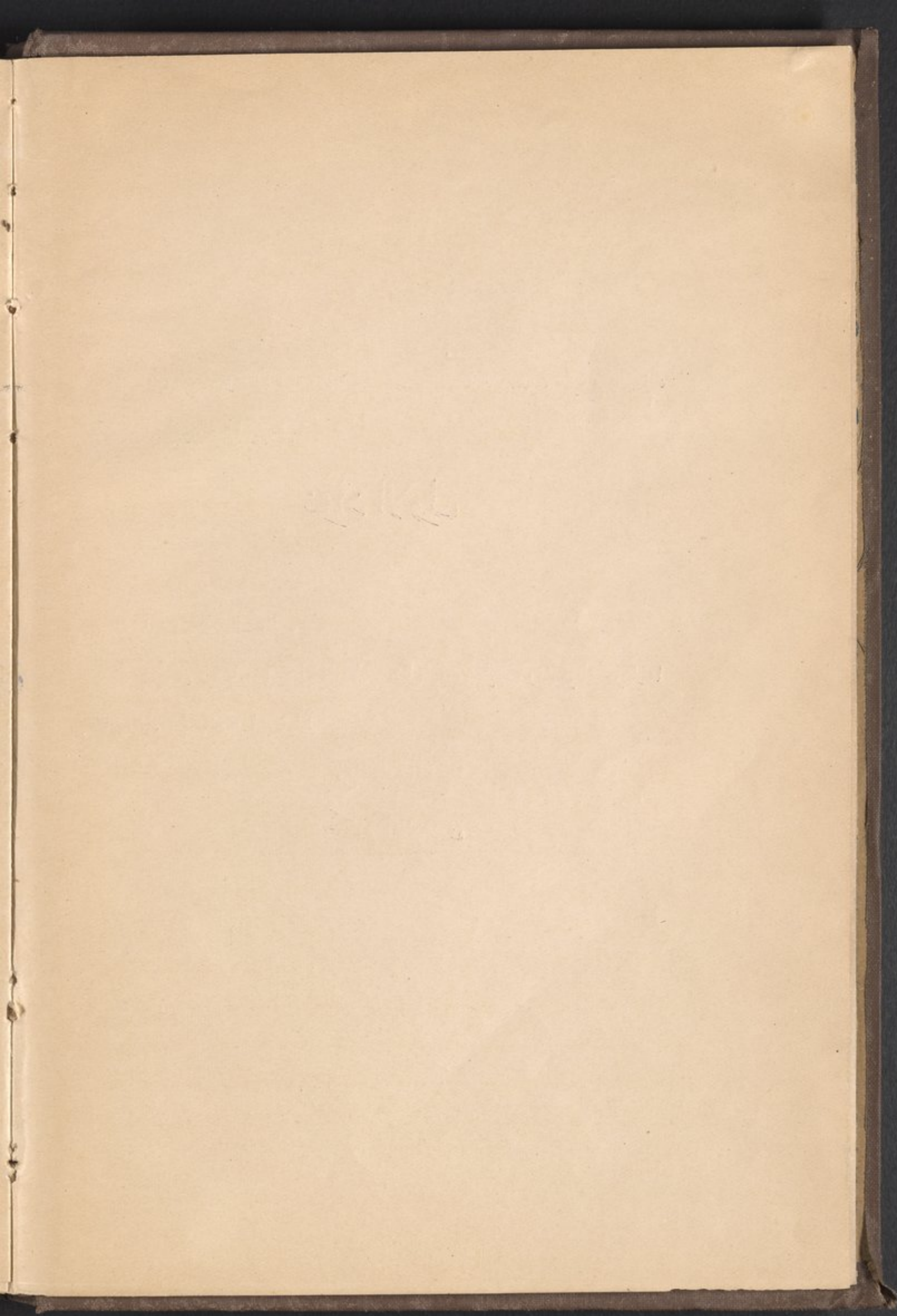
الى محي دولة الادب ، ومجدد عهد النهضة ، ومشيد صروح العلم ،
شبل اسماعيل ، صاحب الجلالة

فؤاد الاول

ملك مصر

اهدى هذا الكتاب
مولاي ، هذه با كورة من ثمار عنايتك ورعايتك وتشجيعك سيتلوها
ان شاء الله غيرها فتقبلها

من العبد المطيع
الدكتور احمد عيسى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أنعم وتفضل من جميل الهداية والتوفيق، والشكر على ما أسدى من حسن الرعاية والاعانة على التحقيق، والصلاة والسلام على أفصح العرب، الذي أوتى جوامع السكلم ومجامع الحكم

وبعد فقد دأبت منذ عهد الحداثة في قراءة كتب الادب والامعان في مطالعة فقه اللغة، فنزعت من ذلك الحين الى حب الترجمة والتأليف، فصنفت بعض الكتب ونقلت بعضها الى العربية، فصادفت أثناء مزاويتي هذا العمل من العقبات والصعوبات ما يحتاج لتدليله الى مشاق كبيرة لا يقدرها أو يشعر بها الا من كابد هذا الطريق الوعر وسبر غوره، وكانت العقبات أمامي عقبتين: الاولى قلة المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الاعجمية، والثانية تعريب بعض ما اقتضى تعريبه من المصطلحات التي لا يمكن ايجاد لفظ يقابلها ويحل محلها، فأما العقبة الاولى فقد بذلت الجهد في تدليلها وسأعود الى شرحها في المعاجم التي وضعتها خاصة لها، وأما العقبة الثانية وهي تعريب الالفاظ التي لا بد من تعريبها فقد ملكت ناصيتها بما فعلته من لم شعنها وضبط شواردها ووضع قواعد لها تكاد تكون نابتة، وذلك بما انتزغته من الاستقراء الوافر والاستقصاء المتواتر

ان العرب في ابان نهضتهم لما احتاجوا اليه من اقتباس شئ من علوم الأمم المتحضرة التي تقدمتهم اضطروا بحكم الضرورة الى تعريب الكثير من الالفاظ في مختلف العلوم، سواء كانت أعلاماً على بلدان أو على أشخاص أو أسماء معاني لا مدلول لها في لغتهم، أو أنهم خافوا على تلك الالفاظ من الالتباس ان هم ترجموها ولم يوجدوا اللفظ الاعجمي بجانبها يوضحها، فقضت ضرورة الحال بتعريبها وادماجها في لغتهم، ولما كان لسان العرب وحروفهم ومنطقهم تختلف كل الاختلاف عن مثيلاتها في السنة الأمم الاخرى وجب أن تكون الالفاظ التي

يقتبسونها مماثلة في مخارج حروفها الى لغتهم سهلة الجرى على ألسنتهم ، حتى كانت الكلمة الأعجمية لا تفرق في الغالب من الكلمات العربية الأصلية وفي بعض الأحيان يصعب تمييزها وبيان أصلها ، وهذا في الحقيقة ونفس الأمر براعة منهم وخدمة جلي لغتهم حتى تتسع وتكفي ضرورات العلم المتزايدة دون أن يختل ميزان نطقهم أو تشوه بالرطانة لغتهم . والناظر الى هذه المسألة قد يستسهلها في بادئ الأمر ويستقل قيمتها العلمية ، والحقيقة أنها من الأهمية بمكان وأنه لا يستغنى عنها ليس من وجهة النطق فقط بل منعاً للخلط والاختباط أيضاً . فان الذي نراه بأعيننا ونسمعه بأذاننا تعدد مناهج التعريب ، فهذا يعرب الكلمة على هذا الوجه وذلك يضعها على هذا المنحى ، فتختلف الأوضاع والمسمى واحد ، ويصبح البلد بلدين والشخص شخصين وهكذا ، وفي ذلك ما فيه من الخلط والتشويش ، دع عنك ان الكلمة المعربة على هذه الوجوه المختلفة قد يصعب جداً أو يستحيل ارجاعها الى أصلها المنقولة عنه ما دامت قد عربت على غير قاعدة ، وفي ذلك من اضطراب العلم مالا يخفى .

أما الطريقة التي اتبعتها فاني بعد المطالعة الطويلة في علوم العرب على اختلافها استقرت جميع الكلمات الأعجمية التي فيها استقرار طويل وقارنت بينها وبين مدلولاتها الأعجمية في لغاتها ، واستخرجت من ذلك حقائق وطابقت بينها وبين خصائص اللغة ، واستخلصت من ذلك قواعد يسار على منهاجها وينسج على منوالها ، حتى اذا ترجم في مصر كتاب وترجم الكتاب بعينه في الشرق أو في الغرب حيث الكتابة بالحروف العربية خرجت الالفاظ المعربة فيها كلها بشكل ونسق واحد مهما اختلفت البلدان وتعددت اللغات

على أن فن التعريب قد جرى عليه العرب من تلقاء أنفسهم بسليقتهم وفصاحة ألسنتهم وقوة جنانهم وسرعة خواطرم وذكاء قرائهم ، ومرشد هم الى ذلك اعتدال لسانهم وفصاحة منطقتهم . فجروا على وتيرة تكاد تكون واحدة حتى ماثل العرب الاصيل من لغتهم . وقد كان تعريبهم من لغات العلم والمدنيات

القديمة في عصرهم وهي الهندية والفارسية واليونانية ولا أذكر السريانية لقربها من العربية . فجاء المتأخرون بعد الصدر الاول ودونوا المعرب والدخيل ، وذكروا أمام كل لفظ انه أعجمي معرب ، وقليل ما يذكرون ان كان فارسياً أو هندياً أو يونانياً إلخ ، وان ذكروا أحياناً ففيه من التخليط ما يسهل ادراكه . ثم انهم أصبحوا ذلك الاشارة الى بعض التغيير والتبديل الذي يلحق الكلمة الفارسية بتعريبها ، ولم يذكروا سوى ذلك ولم يتعدوه الى لغة غير الفارسية ، وأهملت طرائق العرب في التعريب في العصور المتأخرة إهمالاً تاماً حتى كانت الالفاظ المعربة هي الى الرطانة أقرب منها الى الاسلوب العربي ، ولم يشر أحد من المتقدمين في جميع العصور الى كيفية الاخذ عن الاغريقية أو اللاتينية الى أن أتيح الى العالم سليمان البستاني نقل الياذة أو ميرس شعراً الى العربية ، فذكر ضمن فذلكة في مقدمة كتابه بعض القواعد التي تتبع في التعريب ، فقال ضمن قوله انه اختار الغين للجيم الاعجمية والباء لتحل محل الباء الفارسية ، والحقيقة انه نقلها عن المتقدمين ولم يكن هو المخترع لها ثم خلط في بعضها ، وقد عنى أن أسبق هذه القواعد والاصول بمقدمة في تاريخ اللغة العربية من عهد تكونها من اصوات تحاكي الطبيعة الى أن بلغت بفرط ذكاء العرب وجودة قرأهم من الدقة والرقّة واللفظ والارهاق حداً ليس وراءه غاية وقد جعلت هذا الكتاب مقدمة لما سيتلوه من المعاجم الخاصة والعامة ليكون أساساً متيناً للنهضة العصرية المباركة

وقد كان اعتمادى في وضعه على جملة صالحة من الكتب القيمة في مختلف العلوم واللغات لو ذكرت لها لشغلت صحفاً عديدة أولى بها الكتاب وانما ذكرت بعضاً منها في ذيل كل صحيفة . والله المسؤول أن ينفع به الناس بقدر ما كان من حسن النية وبذل الجهد في جمعه وتدوينه

الدكتور احمد عيسى

شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٢

المطابق أكتوبر سنة ١٩٢٣

باب القول في اصل اللغة العربية

اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم، واختلف العلماء في اصلها أهى
وحى وتوقيف أم هى تواضع واصطلاح بين أفراد النوع الانسانى، وانا لنذكر
ما قالته العرب فى ذلك ونضيف اليه ما انتزعناه بالاستقراء . قال أبو الفتح عثمان
ابن جنى ^(١) : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على
أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح لا وحى ولا توقيف ، الا أن ابا على ^(٢)
رحمه الله قل لى يوماً هى من عند الله واحتج بقوله سبحانه « وعلم آدم الاسماء
كلها » وهذا لا يتناول موضع الخلاف وذلك أنه قد يجوز ان يكون تأويله أقدر
آدم على أن واضع عليها وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فاذا كان
ذلك محتملاً غير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان أبو على رحمه الله أيضاً
قل به فى بعض كلامه وهذا أيضاً رأى أبى الحسن ^(٣) على أنه لم يمنع قول من قال
انها تواضع منه . وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخى ^(٤) . « وعلم آدم الاسماء كلها
تعليم الهام أو تعليم استدلال واجتهاد خلقها الله اذ خلقه مستنبطاً مستدلاً فاستدل
بالأثار على المراد من المسميات وأنبأها » . واما خص الله سبحانه وتعالى الاسماء
دون الافعال والحروف لما عليه الاسماء من القوة والاولية فى النفس والرتبة
فاكتفى بها مما هو تال لها ومحمول فى الحاجة اليه عليها
وقالوا فى نفي المواضع والتوقيف : لا بد لأولها من أن يكون متواضعاً

(١) — هو أبو الفتح عثمان بن جنى كان من حذاق اهل الادب واعلمهم بعلم النحو
والتصريف اخذ عن أبى على الفارسى ولزمه وصاحبه اربعين سنة الى ان مات أبو على وخلفه ابن جنى
بيفداد وتوفى ابن جنى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة فى
خلافة القادر وصنف كتباً كثيرة

(٢) — هو أبو على الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسى كان من اكابر ائمة النحويين
وعلى منزلته فى النحو وصنف كتباً كثيرة وتوفى أبو على يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت
من ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فى خلافة الطائع

٣ — هو أبو الحسن على بن عبد الله الشمسى اللغوى كان لغوياً ثقة اخذ عن أبى الفتح
بن جنى وتوفى يوم الاربعاء لاربع خلون من المحرم سنة خمس عشرة واربعماية فى خلافة القادر

(٤) — كتاب البدء التاريخ

بالمشاهدة والایماء والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يوضع أحداً من عباده على شيء إذ قد ثبت أن المواضعة لا بد معها من ایماء وإشارة بالجراحة نحو المومي اليه والمشار نحوه والقديم سبحانه لا جراحة له فيصح الايماء والاشارة بها منه فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه تقدست أسماؤه

قال ابن جنى: «ذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل»

والتأمل في الفاظ هذه اللغة يجد أن كثيراً منها أصوله مضاهية بأجراس حروفها أصوات الافعال التي عبر بها عنها ، فهي في الاصل تقليد للطبيعة في أصواتها وحركاتها ومحاكاة للطبيعة الجامدة والطبيعة الحية أى للجباد والحيوان سواء وكل كلمة منها مؤلفة من أصول هي عبارة عن مجموع وحدات صوتية متكررة مماثلة للطبيعة . وهذه الاصول الصوتية التقليدية لم تكن في الابتداء ثلاثية المقاطع كما يرى الآن في أكثر الفاظ اللغة بل انها كانت في مبدأ أمرها مجموعة أصوات بسيطة متجانسة لاشكل لها اكتسبت فيما بعد بالنشوء والترقي شكلاً ثلاثي الحروف فمثلاً صوت الشيء المجرور المتحرك بشدة على العموم ر ر ر ر ر ر ر ر

وصوت الشيء المتحرك بلطف س س س س س س

وصوت الجرم الرنان ن ن ن ن ن ن ن ن

وصوت المقاومة والشدة د د د د د د د د

ولما كان لا سبيل الى النطق بالحرف الواحد مجرداً من غيره ساكناً كان أو متحركاً لزمه أن يدخل عليه من أوله حرف ليجد سبيلاً الى النطق به ، وكانوا يضيفون الى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالاحداث المعبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهاى أول الحدث وتأخير ما يضاهاى آخره وتوسط ما يضاهاى أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب

فأضافوا جيمًا على الرا فقالوا : جر وان الجيم حرف شديد وأول الجر مشقة على الجار والمجرور ثم عقبوا ذلك بالراء وكرروها في نفسها وذلك لأن الشيء إذا جر على الأرض اهتز عليها واضطرب فكأنت الراء لما فيها من التكرير أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف

وأضافوا الخاء فقالوا : خر والحاء أخف من الجيم فجعلوها لما هو أخف حركة من الأول وهو السائل

وأضافوا كافًا فقالوا : كر والكاف أخت الخاء وأشد منها قليلًا وجعلوها لما هو متوسط بينهما

وأضافوا دالًا فقالوا در وفيها معنى الجذب وأضافوا فاء فقالوا فر وأضافوا طاء فقالوا طر وأضافوا قافًا فقالوا قر وفيها كلها معنى الحركة والجذب والدفع والسير وكذلك الصوت س س س س س س وأضافوا اليه حاء فصارت حس وفيها معنى الحركة اللطيفة وكذلك أضافوا ميمًا فقالوا مس وجيمًا فقالوا جس وحاء فقالوا خس وفيها معنى الحركة إلى النقصان وأضافوا دالًا فقالوا دس وفيها معنى الحركة بشدة والدال أشد من الحاء وأضافوا طاء فقالوا طس والطاء أشد من الدال فدلّت على حدث أشد من الأول وأضافوا عينًا فقالوا عس وفيه معنى الحركة والتنقل وأضافوا قافًا فقالوا قس وكلها فيها معنى الحركة والسير وإنما اختلفت أوائلها شدة وخفة باختلاف الاحداث المعبر عنها بها

والصوت ش ش ش ش وفيه معنى التفرق والحركة فزادوا عليه باء فقالوا شب ثم أضافوا قافًا فقالوا شق والقاف أشد من الباء وفيه من تفرق الاتصال وأضافوا طاء فقالوا شط وأضافوا عينًا فقالوا شع وأضافوا كافًا فقالوا شك وكلها محفوظ فيها تناسب المعاني مع الالفاظ

والصوت ن ن ن ن وأضافوا اليه الراء فقالوا رن والطاء وهي أشد من الراء فقالوا رن والمعاني متصابقة . وهكذا كانوا يقابلون الالفاظ بما يشاكل أصواتها من الاحداث فيجعلون أصوات الحروف على سمت الاحداث المعبر بها عنها فيعدلونها ويحتذونها عليها، مثال ذلك خضم وقضم فاختراروا الخاء لرخاوتها للترطب

والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الاصوات على مسموع الاحداث
وكانت الاصول في أول الامر ثنائية فلما ارتقت اللغة واحتاجوا الى زيادة
التمييز تكونت اذ ذاك الاصول الثلاثية لتعتدل الكلمة وتتكون من ثلاثة أصول
أو أصوات أو حروف حرف يبتدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه، لذلك
كان الثلاثي هو أكثر الاصول استعمالاً وأعد لها تركيباً .

واختيار الحرف الذي يكمل الصوت في أول الكلمة أو في آخرها مبني على
تركيب اللسان وسمو طبع العربي وقوة قريحته، فمثلاً الصوت غر وهو صوت
يشبه صوت نزول الماء فاستبدلوا القاف باحدى رآته فصار غرق ودلوا به على
معناه المتعارف والقاف شديدة صلابة تشبه الحدث المسامت لها وخر استبدلوا
القاف باحدى الرآت فقالوا خرق واستبدلوا الباء باحدى الرآت وقالوا خرب
وفيها معنى الزوال والفقد فالحروف التي زيدت مشاكلة لاصوات الاحداث

وكذلك خرت وخرج وخرز وخرس وخرش وخرص وخرط وخرع وخرغ
وخرم وكلها قريبة المعاني عظيمة المشاكلة بين اللفظ والحدث فالتاء أخف من الجيم
والزاي كالسين إلا أن السين أخف وفيها معنى السكون والخفة والشين فيها عنف
وشدة وخرش فيها معنى الشدة، والصاد أقوى من السين فدلّت على حركة في الكلام
غير مألوفة والعين شديدة وخرع فيها معنى الشق والشدة والفاء خفيفة وخرغ
فيها معنى التقلقل والاضطراب . فانظر كيف كان تغييراً لحرف واختياره سبباً
في تغيير المعنى مع بقاء الارتباط دائماً بين الصوت والحدث

وكلما نمت اللغة وترعرعت أخذت في الاتساع لسد الحاجة للمعاني المتزايدة
وكفاية الدلالة على الاحداث المتكاثرة فاحدثوا في اللغة ما سماه علماءؤها « تصاقب
الالفاظ لتصاقب المعاني » أي تقارب الالفاظ لتقارب المعنى على نسق ما ذكرنا
قال ابن جني « غور هذا من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به وأكثر
كلام العرب عليه » . وهو على أضرب منها استبدال الحروف المتألفة بعضها
مكان بعض ومنها التقديم والتأخير في الحروف ومنها اقتراب الاصلين الثلاثيين
مع بعض الزيادة في بعضها

فامتبدال الحروف المتألّفة بعضها مكان بعض مثل
أز و هز فالهمزة اخت الهاء فخصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء
والأز له معنى أعظم في النفس من الهز

ومنها صعد وسعد فالصا أ أقوى في الجرس من السين فجعلوها لما فيه أثر مشاهد
يرى وهو الصعود في الجبل والحائط ونحو ذلك وجعلوا السين لضعفها لما يظهر
ولا يشاهد حساً إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد

ومن ذلك سد وصد فالسد دون الصد فالسد للباب والثقب ونحوه والصد
جانب الجبل والوادي والشعب وهو أقوى من السد ، ومنه القد طولاً والقط
عرضاً وذلك أن الطاء أخفض للصوت وأسرع قطعاً له من الدال فجعلوا الطاء
للمناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته والدال للماطلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولاً.
ومنه : نضح للماء ونضح وهو أقوى من النضح فجعلوا الخاء لرقتها للماء
الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه

ومنه : قطر وقدر وقتر فالتاء خافتة متسفة والطاء سامية متصعدة فاستعملتا
لتقاربهما في الطريق فيقال قطر الشيء وقتره والدال بينهما ليس لها صعود الطاء ولا
نزول التاء فكانت لذلك واسطة بينهما فغير بها عن معظم الأمر ومقابلته
ومنه : قسم وقسم وقضم فالتضم أقوى فعلاً من القسم لأن القسم يكون معه الدق
وأما القسم فقد يقسم بين الشيئين فلا ينسكأ أحدهما فخصت الصاد بالأقوى
والسين بالاضعف

ومنه قرت وقرط فالتاء أخف الثلاثة فاستعملوها في الدم إذا جف
والدال أشد منها والطاء أعلى الثلاثة صوتاً للقرط الذي يسمع
ومنه : فرد وفرط وفرت، فلتنفرد إلى الضعف والهلاك أقرب وفرط من
التقدم وهو الانفراد والفرت من الفرات وهو الماء العذب وإذا عذب الشيء
ميل عليه ونيل منه

ومنه : العسف والاسف فالعين أخت الهمزة والهمزة أقوى من العين كما أن

أسف النفس أغلظ من العسف فترى تصاقب اللفظين لتقارب المعنيين
ومنه : قرم وقلم فالراء أخت اللام والعملان متقاربان فهذا انتقاص للظفر
وذلك انتقاص للجلد

ومنه : جرف وجلف وجنف فالراء واللام والنون أخوات والمعاني متقاربة
ومنه : علم وعرم اللام أخت الراء والمعنيان متقاربان
ومنه : حمس وحبس الميم أخت الباء والمعاني متصابقة
ومنه : نجع ولجع ورجع فالنون واللام والراء أخوات وفيها تصاقب
ومنه : قرود وقرت التاء أخت الدال وقرود بمعنى تجمع وقرت الدم جمد
ومنه : عاز وعلص الزاي أخت الصاد والمعاني متقاربة

ومنه : جبل وجبن وجبر فاللام والنون والراء أخوات والمعنى متقارب في
الالتصاق والتماسك

ومنه : غرب وغرف الباب أخت الفاء والمعنى متصاقب
ومنه : سحل وصهل وزحر فالسين والصاد والزاي أخوات والحاء أخت الهاء
واللام أخت الراء وكلها فيها معنى الصوت
ومنه : عصر وأزل العين أخت الهمزة والصاد أخت الزاي والراء أخت اللام
والمعنيان متقاربان

وأزم وعصب الهمزة أخت العين والزاي أخت الصاد والميم أخت الباء والأزم
المنع والعصب الشد والمعنيان متقاربان
ومنه : سلب وصرف السين أخت الصاد واللام أخت الراء والباء أخت الفاء
وسلب الشيء صرفه عن وجهه

ومنه : الغدر والختل العين أخت الخاء والدال أخت التاء والراء أخت اللام
والمعنى متقارب

ومنه : زأر وسعل الزاي أخت السين والهمزة أخت العين والراء أخت اللام
والمعاني متصابقة

ومنه : شرب وجلف الشين أخت الجيم والراء أخت اللام والباء أخت
الفاء وشارب الماء مفن له كالجالف للشيء

ومنه : الهتر والادل الهاء أخت الهمزة والتاء أخت الدال والراء أخت اللام
وكلاهما بمعنى العجب

ومنه : قفز و كبس القاف أخت الكاف والفاء أخت الباء والزاي أخت
السين والقافز اذا استقر على الارض كبسها

ومنه : جعد وشحط الجيم أخت الشين والعين أخت الحاء والدال أخت الطاء
وذلك أن الشيء اذا تجعد وتقبض شحط وبعد عنه

ومنه : جلس وأرز الحاء أخت الهمزة واللام أخت الراء والسين أخت الزاي
والمعاني متصابقة

وقالوا أفل وغير الهمزة أخت الغين والفاء أخت الباء واللام أخت الراء وأفل
بمعنى غاب والغابر غائب

وهذا الباب واسع جداً وأكثر الكلام عليه

ومن طريف الابدال في نشوء اللغة ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام
والنون اذا ما زجتهن الفاء على التقديم والتأخير فكثر ومجموع معانيها أنها للوهن
والضعف ونحوها وذلك مثل الدلف وهو للشيخ الضعيف، والقلف للشيء التالف
والظلف للمجان وليست له عصمة الثمين وانظف لما أشرف خارجاً عن البناء وهو
الى الضعف لانه ليست له قوة الراكب على الاساس والاصل والنظف العيب
وهو الى الضعف والدنف المريض والترف وهي الى اللين والضعف أميل،
والطرف لان طرف الشيء أضعف من قلبه ووسطه

الضرب الثاني : التقديم والتأخير

اما التقديم والتأخير فهو تقليب أصول الكلمات على كل وجه والحروف واحدة
مثاله : كمل تقول كلم وملك وملك ولكم ومكل وحيثما تقلبت فمعناها الدلالة
على القوة والشدة فاستعمل منها ما استعمل وأهمل منها ملك
وكذلك قول تقول فيها قلو و وقل و ولق و لقو ولوق ومعناها كلها مع قلب

حروفها الخفوق والحركة، وجهات تركيبتها الست مستعملة كلها لم يهمل منها شيء
ومن ذلك : قسو وقوس ووقس ووسق وسوق وسقو كلها الى القوة والاجتماع
وكلها مستعمل الا سقو فانه أهمل

ومنها : سمل ومسل وسلم وملس ولمس واسم والمعنى الجامع لها المشتعلة عليها
الاصحاب والملاينة وأما لسم فمهمل ، على أنهم قالوا نسّم الريح والنون أخت اللام
اذا مرت مرأ سهلاً ضعيفاً

ومنها : جعل وجلع وعجل ولجع ولعج وكلها متقاربة المعنى ، وهذا ما سماه
النحويون الاشتقاق الاكبر ، وهو أن تأخذ أصلاً من الاصول فتعقد عليه وعلى
تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما ينصرف من كل واحد منها
عليه ، وأن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل اليه

الضرب الثالث : اقتراب الاصلين الثلاثين والزيادة على بعضها مثل لوقه
والوقه وورخو وورخود ودمث ودمثر وسبط وسبطر ومعانيها متقاربة

تكرير الاصل للدلالة على تكرير الفعل

انهم قد يكررون الاصل حكاية للصوت للدلالة على تكرير الفعل فتراهم
يقولون خرخر لصوت الماء المنحدر وغرغر لصوت الماء المتحرك في الفم وجرجر
لصوت الشيء المجرور وقالوا نمحنم وقلقل وتعتع وصلصل وققعع وززعزع وقرقر
وصرصر ، فانهم توهّموا في الحدث تقطيعاً وتكريراً فجعلوا الصوت مكرراً

ونراهم يكررون عين الكلمة للدلالة على تكرار الفعل أيضاً مع التعدى والشدة
وذلك لانه لما كانت الالفاظ دليلاً للمعاني فقوة اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل
وعين الكلمة أقوى من الفاء واللام لأنها واسطة لهما مكتوفة بهما فصارا كأنهما
سياج لها ومبدولان للعوارض دونها فقالوا قطع كسر فتح

وكذلك ضاعفوا اللام كما ضاعفوا العين للمبالغة فقالوا ثمل وضمّل وقد
وحرّق الخ

ونراهم قد كرروا العين واللام للمبالغة أيضاً نحو دمك دمك وصمخمخ وعركرك

وعصّب صب وضررب وغشمشم الخ. وتكرار حروف الفعل مع الزيادة يأتي دائماً في لغة العرب للمبالغة وتكرير الحدث نحو اخلوق واعشوشب واحمومي واذلولي وكذلك في الاسم أيضاً نحو عقتقل وهجنجل وعبنبل وغدودن فكل كلمة من هذه قد فصل بين عينيه بالحرف الزائد

وقد مدوا آخر الكلمة وجعلوا الاستطالة والمد للدلالة على السرعة فقالوا بِشَكْرٍ وجمزى وولقى اعنى أن المثال الذى توات حركاته للأفعال التى توات الحركات فيها

ونراهم قد زادوا الألف والنون على الكلمة للدلالة على الاضطراب والحركة فقالوا غليان وغثيان وجوعان وعطشان الخ

ومما هو أصنع من ذلك أنهم جعلوا للاتماس والمسألة أحرفاً زائدة تقدم على حروف الكلمة الأصلية تكون كالمقدمة لها والمؤدية اليها وهذه الأحرف الزائدة الألف والسين والتاء، وذلك أن الطلب للفعل والتامه تقدمه السعى فيه والتأني لوقوعه ثم وقعت الإجابة اليه فتبع الفعل السؤال فيه والسبب لوقوعه، فكما تبتعت أفعال الإجابة أفعال الطلب كذلك تبتعت حروف الأصل الحروف الزائدة التى وضعت للاتماس والمسألة فقالوا استخرج واستقدم واستوهب واستعطي واستمنح وإنى اكتفى بما ذكرت الآن لبيان أن اللغة العربية هى لغة تواضع واصطلاح لئلا نخرج عنها رسمناه وتوخيناها من الاختصار. وإذا كانت توجد لغة يسهل تحليلها وأرجاعها إلى أصولها الصوتية التقليدية للطبيعة الجامدة والحيوانية فهى اللغة العربية التى لبثت إلى الآن آلاف السنين واحدة لا تتغير

باب القول في معنى اللغة

اللغة على وزن فُعْلَةٌ (١) من لغوت أى تكلمت، وأصلها لغة ككرة وقلة (٢)

(١) استثقلت الحركة على الواو فنقلت للساكن قبلها وهو الغين فبقيت الواو ساكنة فحذفت وعوض عنها هاء التانيث فصار وزنها بعد الاعلال فُعْة بحذف اللام

(٢) القلة عود ان يلعب بهما الصبيان والعوام تسميها عقلة

وثبة (١) ، كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة ، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يشوب وقالوا فيها لغات ولُنُون ككرات وكرون ، وقيل منها لَغِي يلغى إذا لهج بالكلام أو هذى قال :

ورب أسراب حجيج كُظَّم عن اللّغا ورفث التكلم
وفي الفعل ثلاث لغات من باب دعا وسعى ورضى وكل منها فصيح وكذلك
اللغو قال تعالى « وإذا مروا باللغو مروا كراما » أى بالباطل . وفي الحديث « من
قال فى الجمعة صه فقد لى » أى تكلم

٣ — باب فى علة تسمية العرب

اللغة العربية هى لغة جيل من الناس يسكن بلاد العرب يسمون العرب ،
والعرب هذا الجيل لا واحد له من لفظه ، وسموا عرباً باسم بلدهم العربات ، وعربة
بالتحريك هى فى الاصل اسم لبلاد العرب قال ياقوت « ان كل من سكن جزيرة
العرب ونطق بلسان أهلها فهم العرب سموا عرباً باسم بلدهم العربات » والعربات
جمع عربة ، وقال أبو تراب اسحاق بن الفرج « عربة باحة العرب وباحة دار أبى الفصاحة
اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام » ، والعربة النهر الشديد الجرية

وقيل ان لفظه العرب مشتقة من الاعراب وهو البيان أخذوا من قولهم
أعرب الرجل عن حاجته اذا أبان ، وفى الحديث : الثيب تعرب عن نفسها أى
تبين ، وعرب البيطار الفرس تعريباً اذا بزغه ، وعربت على الرجل اذا رددت
عليه قوله ، سموا بذلك لأن الغالب عليهم البيان والبلاغة ، وقال هشام بن محمد
ابن السائب : جزيرة العرب تدعى عربة ومن هنالك قيل للعرب عربى كما قيل
للهندي هندي وكما قيل للفارسي فارسي لأن بلاده فارس وكما قيل للرومي رومي
لأن بلاده الروم ، وقال آخرون : نشأ أولاد اسماعيل بعربة وهى من تهامة فنسبوا

(١) الثبة الجماعة

الى بلدهم ، وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عرب
يَمَنُّهُمْ ومَعَدَّهُمْ ، وبنوا اسرائيل الذين عمروا الحجاز فلم ينسبوا عرباً لأنهم لم ينطقوا
فيها بلسان العرب فهم عِبرٌ

والعرب قسمان : ١ — عاربة وهم اخلص منهم وأخذ من لفظه فأكد به بمعنى
الراسخة في العروبة كقولك ليل لائل أى كثير الظلمة تقول عرب عاربة وعُرباء
صرحاء ، أو بمعنى الفاعلة للعروبة والمبتدعة لها لما كانوا أول من تكلم بها ،
٢ — وعرب مُتَعَرِّبَةٌ ومُسْتَعَرِبَةٌ وهم الدخلاء على العرب ليسوا بخلص فلم يكونوا
منهم ، ومعنى المستعربة الداخلون في العربية بعد العجم أخذاً من استفعل بمعنى
الصيرورة ، وهم بنو قحطان بن عابر وبنو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ،
فقد كانت لغة عابر واسماعيل عجمية وهى العبرانية ، فتعلم بنوا قحطان العربية
من العاربة ممن كان في زمنهم ، وتعلم بنوا اسماعيل من جرهم من بنى قحطان فهم
العرب المستعربة . وذهب ابن اسحاق والطبرى وغيرهما الى أن العاربة هم عاد
وعبيل وثمود وطهم وجديس وأميم والماقة ووبار وعبد ضخم وجرهم الاولى
وحضر موت وحضوراء ومن في معنهم

وفى العرف يطلق العرب على الجميع ، والعربى نسبة الى العرب وان لم يكن
بدويًا ، ويقال عربى كذلك لمن كان نسبه في العرب ثابتاً وان لم يكن فصيحاً ،
وجمع عربى العرب ، وهم الذين ينزلون بلاد الرف ويستوطنون المدن واقرى
العربية وغيرها ، والأعراب ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في
الأمصار ولا يدخلونها الا لحاجة فهم أصحاب نجعة وانتواء وارتباد البكلاء وتتبع
لمساقط الغيث وسواء كان من العرب أو من مواليهم ، والنسب الى الأعراب أعرا بى
لانه لا واحده على هذا المعنى ، والأعرابى اذا قيل له يا عربى فرح بذلك وهش
له ، والعربى اذا قيل له يا أعرا بى غضب له ، وكل من عدى العرب فهو عجمى ،
والعُرب ضد العُجم وليس هو كما يتوهم العامة من اختصاص العجم بالفرس

والعرب فرقتان (١) فرقة بائدة وفرقة باقية

فأما الفرقة البائدة فكانت أما ضخمة كعاد وثمود وطسم وجديس والعلقة وإياد وجرهم الأولى وجاسم وعبيل وحضوراء وحضر موت وبنو ثابر ووبار وأميم وعبد ضخم ومدنين ، أبادهم الزمان وأفناهم الدهر بعد أن سلف لهم في الأرض ملك جليل وخبر مشهور ، لا ينكر لهم ذلك أحد من أهل العلم بالقرون الماضية والاحياء ، ولتقدم انقراضهم ذهبت حقائق أخبارهم وانقطعت عنا أسباب العلم بآثارهم ، ولم يبق منهم الا بقايا متفرقة في القبائل .

فعاد وعبيل ابنا عوص بن ارم بن سام بن نوح
وثمود وجديس ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح
وعمليق أو عملاق وهم العلقة وطسم ابنا لاوذ بن ارم بن سام بن نوح
ووبار بن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح
وعبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح وقيل عبد ضخم بن عبس بن هرم بن
عابر بن ارم بن سام بن نوح

وجرهم الأولى هم قبيلة كانوا على عهد عاد وهو جرهم بن قحطان بن عابر
ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، ومدنين وهم بنو مدني بن ابراهيم عليه السلام
وأما الفرقة الباقية وهي المتأخرة بعد ذلك فجرهم الثانية وسبأ وبنو عدنان ،
ومنهم من باد بعد ذلك كجرهم ومن تأخر منهم فهم متفرقة من جذمين قحطان
وعدنان ، والعرب كلها منهما

فالعرب القحطانية هم عرب اليمن وينتسبون الى يعرب بن قحطان بن عابر
وهو هود النسي بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وهم أقدم من
غيرهم ، ولذلك تفتخر أعراب اليمن على غيرها من العرب ، ويقولون نحن العرب
العاربة كنا قبل اسماعيل وانما تكلم اسماعيل بلساننا لما جاورته جرهم . وقحطان
أخو يقطن بن عابر ، فولد يقطن جرهم وجزيلا ، فلم يبق من جزيلا بقية ،

(١) طبقات الامم ببعض زيادات

فنزلت جرهم مكة فتزوج منهم اسماعيل، وقد خرج من قحطان يعرب ويشجب وسبأ وحمير وقضاعة.

ومن القبائل القحطانية (١) همدان وكندة ولخهم والسكون والسكاسك ودوس وعاملة وجدام وقادم وخولان ومعافير ومدحج ومسيلمة وأشجع ورهاء وصداء وجناب وحكم بن سعد وزبيد ومراد وعذس والأشعر وأدد والأزد والأوس والخزرج وخزاعة وبارق وغسان وبجيلة وخثعم وبلقين والنميرة بن وبرة وسليم ومهرة ودهر وعذرة وسلامان وضنة بن سعد وجهينة وفهد بن زيد

وأما العدنانية فهم من عدنان بن أدد بن أدد بن الهيمسيع بن سلامان بن نبت ابن حمل بن قي دار بن اسماعيل بن ابراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن أرغو ابن فالغ بن عابر بن شالح بن أرغش بن سام بن نوح، ومنازلهم في شمال بلاد العرب في تهامة والحجاز ونجد والسموعة الى مشارف الشام والعراق، ومن العدنانية عك ومعد وربيعه ومضر وقيس

وأعلم (٢) أن اليمن كان منازل العرب العاربة من عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضر موت ومن في معنهم، ثم انتقلت ثمود منهم الى الحجر من أرض الشام فكانوا به حتى هلكوا كما ورد به القرآن الكريم، وهلك بقايا العاربة باليمن من عاد وغيرهم، وخلفهم فيه بنوا قحطان بن عابر فعرفوا بعرب اليمن وبقوا فيه الى أن خرج منه عمرو ومزيقيا عند توقع سيل العرم، ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا في الحجاز والعراق والشام وغيرها عند حدوث سيل العرم، وكانت أرض الحجاز منازل بني عدنان الى أن غزاهم بخنصر ونقل من نقل منهم الى الأنبار من بلاد العراق، ولم تزل العرب بعد ذلك كله في التنقل عن جزيرة العرب والانتشار في الأقطار الى أن كان الفتح الاسلامي توغلوا في البلاد حتى وصلوا الى بلاد الترك وما داناها، ونزل منهم طائفة بالجزيرة الفراتية

(١) الفهرست

(٢) نهاية الارب في معرفة أنساب العرب للقله شندی

وصاروا الى أقصى الغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان وملئوا الآفاق وعمرروا الأقطار ، وصار بعض عرب اليمن الى الحجاز فأقاموا به ومن تفرق منهم منتشرون في الأقطار

٤ - باب في موطن اللغة العربية

اللغة العربية هي لغة جيل من الناس يسكن بلاد العرب ، وتعرف بجزيرة العرب لأن اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل ، والجزيرة في أصل اللغة ما ارتفع عته الماء أخذاً من الجزر الذي هو ضد المد ، ثم توسع في معناه فأطلق على كل ما دار عليه الماء . وانما (١) سميت جزيرة العرب لاحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرافها وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر ، وذلك أن الفرات القافل من بلاد الروم يظهر بناحية قنشرين ، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة (٢) وامتد الى عبّادان (٣) وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرباً مطيفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها فأتى منها على سفوان (٤) وكاظمة (٥) ونفذ الى القَطِيف وهَجَرَ وأسياف البحرين وقَطَرَ وِثْمَان والشَحْر ، ومال منه عنق الى حضرموت وناحية أبين (٦) وعدن ودهلك (٧) وأستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن في بلاد فرسان (٨) وحكم (٩) والأشعرين وعك (١٠) ومضى الى جدة ساحل مكة وإلى الجار

(١) معجم ما استعجم للبكري وصفة جزيرة العرب للهمداني (٢) ابلة بلدة بجوار البصرة وهي اقدم منها (٣) عبّادان حصن بجوار البصرة منسوب الى عبّاد الحبطي (٤) سفوان ماء على اربعة اميال من البصرة عند جبل شنام ومكان سفوان من البصرة كمكان القادسية من الكوفة (٥) جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان (٦) أبين واين (بكسر الهمزة) هي عدن ابين من بلاد اليمن (٧) دهلك اسم اعجمي معرب ويقال دهيك هي جزيرة في بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة وهي كذلك اسم بلدة ضيقة حرجة حارة (٨) فرسان ويقال سواحل فرسان هو عنق من البحر مال الى حضرموت وناحية ابين وعدن ودهلك فاستطار ذلك العنق وطعن في تهائم اليمن في بلاد فرسان والحكم ابن سعد العشيرة (٩) حكم بخلاف باليمن سمي بالحكم بن سعد العشيرة (١٠) بخلاف من مخاليف مكة التهامية ومقابلة مرساها دهلك

ساحل المدينة والى ساحل تيماء (١) وأيلة (٢) حتى بلغ الى قلزم (٣) مصر
وخالط بلادها ، وأقبل النيل من غرب هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً
معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر
حتى بلغ بلاد فلسطين ، فمرّ بعسقلان وسواحلها وأتى على صور ساحل الأرذون
وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ، ثم نفذ الى سواحل حمص وسواحل
قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً على أطراف قنسرين
والجزيرة الى سواد العراق

فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا بها وتوالدوا فيها على خمسة
أقسام عند العرب وفي أشعارها : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن
وذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها . أقبل من قعر
اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور
وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر ، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيته الى أسياف
البحر من بلاد الأشعرين وعكّ وحكم وكنانة وغيرها ودونها الى ذات
عرق (٤) والجحفة (٥) وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامة وتهامة
تجمع ذلك كله ، وصار ما دون ذلك الجبل من شرقيه من صحارى نجد الى
أطراف العراق والسمّانة (٦) وما يليها نجداً ونجد تجمع ذلك كله ، وصار الجبل
نفسه سراته وهو الحجاز وفي رواية الجرّ والجرّ سفح الجبل ، وصار ما احتجز به
في شرقيه من الجبال والنحدر الى ناحية فيد (٧) وجبلى طيم الى المدينة وراجعاً
الى أرض مذحج من تثليث (٧) وما دونها الى ناحية فيد حجازاً ، فالعرب

(١) تيماء بليدة في اطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام وهي في
شرق خليج أيلة او خليج العقبة الآن (٢) أيلة هي العقبة الآن (٣) القلزم كورة
من كور مصر القبلية قرب ايلة والطور ومدين وموضعها اقرب موضع الى البحر الغربي بينها
وبين الفرما اربعة ايام (٤) ذات عرق مهل اهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة
(٥) الجحفة كانت قرية كبيرة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة وهي اول الغور الى
مكة وكذلك هي من الوجه الاخر الى ذات عرق (٦) بادية السماوة التي هي بين الكوفة
والشام قفري وسميت السماوة لانها أرض مستوية لا حجر بها (٧) فيد بليدة في نصف
طريق مكة من الكوفة (٨) تثليث موضع بالحجاز قرب مكة

تسميه نجداً وجلساً وحجازاً والحجاز يجمع ذلك كله، وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض وفيها نجد وغور تقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله، وصار ما خلف تليلث وما قاربها الى صنعاء وما ولاها الى حضرموت والشحر وعمان وما يليها اليمن وفيها التهامم والنجد واليمن تجمع ذلك كله

، ومسافة الجزيرة في الطول وذلك بين عدن وبين أطراف الشام نحو من الأربعين مرحلة، ومساقها في العرض وذلك ما بين ساحل بحر أيله والحجاز وجدة وبين العذيب (١) وما اتصل من ريف العراق نحو من خمس وعشرين مرحلة

٥ - باب في علة سكن البوادي من عرب البدو وغيرهم

ان حال العرب مشهور عند الأمم من العز والمنعة والألفة، وكانوا طبقتين (٢) أهل مدر وأهل وبر، فأما أهل المدر فهم أهل الحضر وسكان القرى، وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والكرم والماشية والضرب في الارض للتجارة وغير ذلك من ضروب الاكتساب، ولم يكن منهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور، وأما أهل الوبر فهم تطان الصحارى وعمّار الفلوات، وكانوا يعيشون من ألبان الابل ولحومها، وكانوا زمان النجمة ووقت التبدي يراعون جهات ايماض البرق ومنشأ السحاب وجلجلة الرعد، فيؤمنون منتجعين لمنابت الكلاء، مرتادين لمواقع القطر، ويخيمون هنالك ما ساعدتهم الخصب وأمكنهم الرعى، ثم يقومون لطلب العشب وابتغاء المياه، فلا يزالون في حل ورحال كما قال المثقب العبدى في ناقلته

تقول اذا درأت لها وضيئى أهذا دينه أبداً ودينى
أكل الدهر حلّ وارتحال أما تبقي على ولا تقينى

(١) العذيب - واد بظاهر الكوفة

(٢) طبقات الامم

فكان ذلك دأبهم زمان الصيف وانقيظ والربيع ، فإذا جاء الشتاء وأقشرت الأرض ومدت انكشوا الى أرياف العراق وأطراف الشام ، وركبوا الى القرب من الحواضر والدنو من القرى ، فشتوا هنالك مقاسين جهد الزمان ومصطبرين على جهد العيش ، وهم خلال ذلك يتواخون بقوتهم ويتشاركون في بلغتهم ، مدمنون على إباء الضيم ونصرة الجار والذب عن الحرم ، فرأت العرب (١) أن جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيالم أشبه بالعز وأليق بذى الأنفة ، وقالوا لنكون محكمين فى الأرض نسكن حيث نشاء أصلح من غير ذلك ، فاختاروا سكنى البدو من أجل ذلك ، والقدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار ونيل الهمم والأقدار وشدة الأنفة والحمية من العرة والهرب من العار بدأت التفكير فى المنازل والتقدير للمواطن ، فتأملوا شأن المدن والأبنية فوجدوا فيها معرة ونقصاً ، وقال ذو المعرفة والتمييز أن الأرض تمرض كما تمرض الأجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح اذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه وأحال أمرجة قطانه ، وقال ذو الآراء منهم ان الأبنية والتحويط حصر عن التصرف فى الأرض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة ، وزعموا أيضاً أن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسد سروحته عن المرور وقذاه عن السلوك ، فسكنوا البرّ الأفيح الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضرّ ، هذا مع ارتفاع الأقداء وسماحة الأهواء واعتزال الوباء ، ومع تهذيب الأحلام فى هذه المواطن ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن مع صحة الأمزجة وقوة الفطنة وصفاء الألوان وصيانة الأجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء الفضاء ، وفى هذا الأمن من العاهات والأستقام والعلل والآلام ، فآثرت العرب سكنى البوادي والحلول فى البيداء ، فهم أقوى الناس همماً وأشدّهم أحلاماً وأصحهم أجساماً وأعزهم جاراً وأحماهم ذماراً وأفضلهم جواراً وأجودهم

فطناً لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء ، لأن الأبدان تحتوى أجزاؤها على متكاثف الأكدار وعناء الأقدار بما يرتفع اليه ويتلاطم في عرصاته واقفة من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ، ففي أكنافه جميع ما يتصعد اليه وكذلك تراكب الأقداء والأدواء والعاهات في أهل المدن ، وتركبت في أجسامهم وتضاعفت في أشعارهم وأثمارهم ففضلت العرب على سائر ما عداها من بوادى الامم المعترضة لما ذكرنا من تخيرها الأماكن وارتياح المواطن

٦- باب في النسب في العرب

قال أحمد بن محمد بن عبدربه (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ) « النسب سبب التعارف وسلم الى التواصل ، به تتعاطف الأرحام والاشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة » والعرب هم أوثق الأمم في معرفة أنسابهم وأشدهم محافظة على كيان بيوتاتهم ، وبهذا التمسك بحفظ النسب يتفاضلون بعضهم على بعض ويتفاخرون بقبائلهم وبيوتاتهم ، فللعرب حفظ الأنساب وما يعلم أحد من الأمم عنى بحفظ النسب عناية العرب ، ولهم في ذلك نوادر عجيبة تدل على ما كان لهم من الهمة والولع بحفظ الأنساب نذكر منها الحكاية الآتية :

ذكروا أن يزيد بن حسان بن علقمة بن زرارة بن عدس قال : خرجت حاجاً حتى اذا كنت بالمحصب منى اذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب مع كل رجل منهم محجن ينحون الناس عنه ويوسعون له ، فلما رأيته دنوت منه فقلت ممن الرجل قال رجل من مهرة من الشحر قال فكرهته ووليت عنه ، فنادانى من ورأى مالك قلت لست من قومى ولست تعرفنى ولا أعرفك ، قال ان كنت من كرام العرب فسأعرفك قال فكررت عليه راحلتى فقلت انى من كرام العرب قال ممن أنت قلت من مضر قال فمن الفرسان أنت أم من الأرجاء فعلمت أنه أراد بالفرسان قيساً وبالأرجاء خندفاً ، فقلت بل من الأرجاء قال أنت امرؤ من خندف قلت نعم قال من الأرومة أنت أم من الجاجم ، فعلمت أنه أراد بالأرومة خزيمه

وبالجمجم بنى أد بن طابخة قلت بل من الجمجم ، قال فأنث امرؤ من بنى
أد بن طابخة قلت أجل ، قال فمن الدوانى أنت أم من الصميم ، قال فعلمت أنه
أراد بالدوانى الرباب ومزينة وبالصميم بنى تميم قلت من الصميم ، قال فأنث
إذا من بنى تميم قلت أجل ، قال فمن الأ كثيرين أنت أم من الأقلين أو من
أخوانهم الآخرين ، فقلت انه أراد بالأ كثيرين ولد زيد وبالأقلين ولد الحرث
وبأخوانهم الآخرين بنى عمر بن تميم ، قلت من الأكثرين ، قال فأنث
إذا من ولد زيد قلت أجل ، قال فمن البحور أنت أم من الذرا أم من الشّمار ،
فعلمت أنه أراد بالبحور بنى سعد والذرا بنى مالك بن حنظلة وبالّمار امرأ النقيس
ابن زيد ، قلت بل من الذرا قال فأنث رجل من مالك بن حنظلة قلت أجل ،
قال فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب ، فعلمت أنه أراد بالسحاب
طهية وبالشهاب نهشلا وباللباب بنى عبد الدار بن دارم ، فقلت له من اللباب ،
قال فأنث من بنى عبد الدار بن دارم ، قلت أجل ، قال فمن البيوت أنت أم
من الدوائر ، فعلمت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر الأ حلاف ، قلت من
البيوت قال فأنث يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وقد كان
لأبيك امرأتان فليهما أمك .

وقد نبغ في العرب كثير من علماء النسب فمن مشاهيرهم : دغفل بن حنظلة
السدوسى أدرك النبى ، وزيد بن الكيس النمرى من بنى عوف بن سعد ،
والحارث بن أوس بن الحارث بن سعد بن هذيم العدوانى من قضاعة ، والنسابة
البكرى ، ولسان الحمرة وهو وقاء بن الأشعر أبو كلاب كان أنسب العرب وأعظمهم
بصرأ ، وعبيد بن شربة الجرهمى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وصحار بن
عباس العبدى ، وعمير بن ضمضم ، وصالح الحنفى واسمه عبد الرحمن بن قيس ،
وعبد الله بن عمرو بن الكواء ، وصالح بن عمران الصعدى ، وأبو الوليد عيسى
ابن دأب بن يزيد بن بكر ، وعوانة بن الحكم بن عياض بن وزير بن عبد الحارث

الكلبي، وشبيل بن عروة الضبي ويكنى أبا عمرو، وكان أبو بكر رضى الله عنه
نسابة وسعيد بن المسيب وأبو القاسم حماد الراوية بن سابور بن المبارك بن عبيد
(المتوفى سنة ١٥٦) وأبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار (المتوفى سنة ١٥١)،
ولوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي، وجده سليم روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو اليقظان سحيم بن حفص، (المتوفى سنة
١٩٠)، وخالد بن طليق وهو ابن محمد بن عمران بن حصن الخزاعي، والشرقي
القظامي مؤدب المهدي ولد أبي جعفر المنصور، وأبو النضر محمد بن السائب الكلبي
(توفى بالكوفة سنة ١٤٠)، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى سنة
٢٠٦ هـ) ومجالد بن سعيد بن عمير الهمداني ويكنى أبا عمير (المتوفى سنة ١٤٤)
في خلافة أبي جعفر، وعمير جد مجالد هو الذي يقال له ذو مرّان الهمداني كتب
اليه النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وأبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (عاش
من سنة ١٣٠ إلى سنة ٢٠٧ هـ) له كتاب النسب الكبير في أخبار العرب القدماء ومحمد
ابن سعد كاتب الواقدي (المتوفى سنة ٢٣٠) وأبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الثعلبي
(المتوفى سنة ٢٠٩)، ووهب بن وهب بن كثير بن عبد الله بن زمامة بن الأسود بن
أسد بن عبد العزى، ومحمد بن عبيد الله العتبي (المتوفى سنة ٢٢٨)، وأبو
الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني (عاش من سنة ١٣٥ إلى ٢١٥)
وله كتاب المغازي، وأحمد بن الحارث الخزاعي (المتوفى سنة ٢٥٨) صاحب المدائني،
وأبو خالد الغنوي، وابن عبدة عبد الرحمن، وعلان الشعبي له كتاب حلبة
المثالب، وأبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو، وأبو عبد الله محمد بن صالح
ابن النطّاح، والحسن بن سعيد السكري، وأبو عبد الله مصعب بن عبد الله
الزبيرى (المتوفى سنة ٢٣٣)، والزيبي بن بكّار (المتوفى سنة ٢٥٦) له
كتاب أنساب قریش، وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد الجهمي، وعمر بن شبة،
وأبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩) له أنساب

الأشراف أو الأخبار والأنساب ومحمد بن سلام الجُمجى له كتاب بيوتات العرب ،
وأبو الحسن النسابة محمد بن القاسم التميمي له كتاب الأنساب والأخبار ، وأبو الفرج
الأصفهاني (المتوفى سنة ٣٦٠) وهو على بن الحسين من الهيثم القرشي ،
وأبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢٠٩) والبيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨) وابن
عبد البر ، وابن هُزيم محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٣٣٤) والهمداني وله كتاب
التاج ، والقلقشندي له نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب

١- فصل في طبقات الأنساب

طبقات الأنساب في العرب كثيرة عد منها أبو عبيدة عشر طبقات
فقال : ان جميع ما بنت عليه العرب أركانها ووضعت عليه أساسها في النسب
عشر طبقات

أولهن جذم النسب اما الى عدنان واما الى قحطان ، فهما جميعاً تنسب العرب
اليهما ، والجذم القطع ، وذلك لما كثر الاختلاف في الآباء وأسماؤهم فما فوق ذلك
على العرب قطع ذكرهم ، واقتصروا على ما دونها لاجتماعهم على صحته ، ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم لما انتسب الى عدنان « كذب النسابون فيما فوق
ذلك » لتطاول العهد

الطبقة الثانية : الجمهور والتجمهر الاجتماع والكثرة ومنه قولهم جماهير
العرب أى جماعتهم ، ومنه ترجمة مجموع اللغة العربية الجهرة وجمهرة الأنساب
أى مجموعها

الطبقة الثالثة : الشعوب واحداها شعب هو الذى يجمع القبائل ويشملها وهو
الذى يشبه بالرأس من الجسد ، قال الله عز وجل « إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا »

الطبقة الرابعة : القبيلة وهى التى دون الشعب ، وهى التى تجمع العماير ،
وانما سميت قبيلة لتقابل بعضها بعضاً واستوائها فى العدد ، وهى بمنزلة
الصدر فى الجسد ، قال الحسين بن طباطبا هى بمنزلة الوجه من الجسد لان

الحاجب يقابل الحاجب والعين تقابل العين والخذ يقابل الخد والانف يقابل
الانف والعارض يقابل العارض والشفة تقابل الشفة والأسنان تقابل الأسنان
الطبقة الخامسة : العائر واحدها عمارة وهي التي تجمع البطون . وهي دون
القبائل بمنزلة اليد من الصدر ، قال ابن طباطبا وهي بمنزلة الصدر ، منه تنبعث اليدان
وتتعلق به البطن

الطبقة السادسة : البطون واحدها بطن وهي التي تجمع الأنفاذ
الطبقة السابعة : الأنفاذ واحدها فخذ وفخذ مثل كبد وكبد وهو أصغر من
البطن يجمع العشائر

والطبقة الثامنة : العشائر واحدها عشيرة ، وعشيرة القوم الذين يتعاقلون الى
أربعة آباء ، وسميت بذلك لمباشرة الرجل اياهم ، قال الله تعالى « وانذر عشيرتك
الأقربين » فدعا الى قریش الى أن اقتصر على عبد مناف ، فمن هاهنا جرت
السنة بالمعاقلة الى أربعة آباء ، وهم بمنزلة الساقين من الجسد التي يعتمد عليها
دون الأنفاذ

والطبقة التاسعة : الفصائل واحدها فصيلة وهم أهل بيت الرجل وخاصته قال
الله عز وجل « يودُّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبه وأخيه
وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً الآية » وهي بمنزلة اقدم وهي مفصل
يشتمل على عدة مفاصل .

والطبقة العاشرة الرهط وهم رهط الرجل وأسرته ، وهم بمنزلة أصابع
القدم ، والرهط دون العشرة ، والأسرة أكثر من ذلك ، قال الله عز وجل
« وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون » ، وقال أبو
طالب بن عبد المطلب في قصيدة اللامية

وأحضرت عند البيت رهطى وأسرتى

وأمسكت من أثوابه بالوصائل

ويروى وأخوتى ، ورهطه بنوا عبد المطلب ، وكانوا دون العشرة وأسرته

بنوا عبد مناف الذين عاضدوه على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم
تمثيل ذلك : عدنان جندم وقبائل سعد جهمور ، ونزار شعب ، ومضر
قبيلة ، وخندف عمارة وهم ولد الياس بن مضر وكنانة بطن وقريش نخد ،
وقصى عشيرة ، وعبد مناف فصيلة ، وبنوا هاشم رهط ،
وتمثيل آخر : فهر بن مالك شعب ، قصى قبيلة ، هاشم عمارة ، على عليه
السلام بطن ، الحسن عليه السلام نخد ، محمد بن عبد الله بن الحسن عشيرة ،
عبد الله الأشتر بن محمد فصيلة ، وما دون ذلك يقال رهط بنى الأشتر

ولا بد للنظر في الأنساب من معرفة الأمور الآتية كما ذكرها القلقشندي
الاول : اذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبا ، والعمائر قبائل ،
وتصير البطون عمائر ، والأفخاذ بطونا ، والفصائل أفخاذاً

الثاني — أن القبيلة هم بنوا أب واحد ، وجميع قبائل العرب راجعة الى
أب واحد سوى ثلاث قبائل : وهي تنوخ والعنق وغسان ، فإن كل قبيلة منهم
مجمعة من عدة بطون ، وذلك أن تنوخا اسم لعشر قبائل وسموا بتنوخ من
التنوخ وهو المقام ، والعنق اجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم فظفر بهم
فأعتقهم فسموا بذلك ، وغسان عدة بطون من الأزد نزلوا على ماء يسمى غسان
فسموا به

الثالث — تخصيص الرجل من رجال العرب بانتساب القبيلة اليه دون غيره
من قومه لرئاسة أو شجاعة أو كثرة ولد أو غيره ، فنسب بنوه وأعقابه اليه ،
وربما انضم الى النسبة اليه غير أعقابه من عشيرته أيضاً

الرابع — قد ينضم الرجل الى غير قبيلته بالخلف والموالة فينسب اليهم
فيقال فلان حليف بنى فلان أو مولاهم

الخامس — اذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل في قبيلة أخرى جاز أن
ينسب الى قبيلته الأولى وأن ينسب الى قبيلته الثانية التي دخل فيها وأن
ينسب اليهما جميعاً مثل أن يقال فلان التميمي ثم الوائلي

السادس — القبائل في الغالب تسمى باسم أبي القبيلة كربيعة ومضر والأوس والخزرج ، وقد تسمى القبيلة باسم الأم كخندف وبجيلة

السابع — أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب

أولاً — أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد وثمود ومدين يريد بنى عاد وبنى ثمود وبنى مدين ، وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل

ثانياً — أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة فيقال بنو فلان وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأنخاذ

ثالثاً — أن يرد لفظ القبيلة بلفظ الجمع مع ال التعريف كالطالبيين والجعافرة وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين

رابعاً — أن يعبر عنها بآل فلان كآل ربيعة وآل فضل وذلك في الأزمنة المتأخرة والآل بمعنى الأهل

خامساً — أن يعبر عنها بأولاد فلان وذلك في المتأخرين أيضاً من أنخاذ العرب كأولاد قريش وأولاد على

الثامن — أسماء غالب العرب منقولة عما يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه اما من الحيوان كأسد ونمر ، واما من النبات كنبت وحنظلة وسامة ، واما من الحشرات كحبة وحنش ، واما من أجزاء الارض كصخر وفهر الخ

التاسع — الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة ومرة وضرار ، وتسمية عبيدهم بمحسوب الأسماء كفلاح ونجاح ، ولما سئلوا في ذلك فقالوا إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا

العاشر — اذا كان في القبيلة اسمان متوافقان كالحارث والحارث وأحدهما من ولد الآخر أو بعده في الوجود عبروا عن الوالد أو السابق منهما بالأكبر وعن الولد أو المتأخر منهما بالأصغر فيقال الحارث الأكبر والحارث الأصغر

٢ - فصل في تسلسل النسب

قلنا ان العرب فرقتان فرقة بائدة وفرقة باقية
فاما الفرقة البائدة فقد تقدم ذكرها ، واما الفرقة الباقية فهي متفرقة من
من جذمين قطحان وعدنان ، والعرب كلها منها

٣ - فصل في العرب القحطانية

فاما القحطانية وأكثر قبائل العرب منهم فهم أنسب وأقدم من غيرهم ، وهم
أهل اليمن من ولد قحطان ولذلك تفتخر أهل اليمن على غيرها ، من العرب
وقحطان هو أبو يعرب ، ويقال ان العرب انما سميت عربا به وولد يعرب
يشجب وولديشجب سبأ ، واسم سبأ عبد شمس بن يشجب وانما سمي سبأ
لأنه أول من سبأ في العرب ، ومنه تفرعت جميع قبائلهم من ولديه حمير وكهلان
وولد سبأ سبعة نفر الا شعر بن سبأ ومنه رهط أبي موسى الأشعري وحمير بن سبأ وأنمار
ابن سبأ وعاملة بن سبأ ومرة بن سبأ وعمرو بن سبأ وكهلان بن سبأ ، فولد
مرة بن سبأ شعبان بن مرة ، وولد الأشعر بن سبأ الأشعريين ، وولد عمرو بن
سبأ عدي بن عمرو ، فولد عدي نخعاً وجذاماً وجذام قبائلها وبطونها منهم
جديس وغنم وجشم وغطفان ونفائنه ومداله والدار التي ينسب اليها الداريون ،
وولد أنمار بن سبأ ولداً فخالفوا خنعماً وبجيلة ، وبجيلة امرأة تنسب القبيلة اليها
وهي بنت صعب بن سعد العشيرة ، ومن بطون بجيلة قسّر رهط خالد بن عبد
الله القسري ، وولد عاملة بن سبأ قبائل ويزعم لساب مصر أنهم من ولد قاسط
قال الشاعر :

أعامل حتى متى يذهبن الى غير والدك الأكرم
ووالدكم قاسط فارجعوا الى النسب الأبلد الأقدم

وولد حمير بن سبأ ست نفر مالك بن حمير وعامر بن حمير وعوف بن حمير
وسعد بن حمير ووائل بن حمير وعمرو بن حمير ، فولد مالك بن حمير قضاة بن
مالك ، فهو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير
ومن قبائل قضاة ويطونها كلب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف (١)
ابن قضاة ، ووبرة ولد له كلب وأسد ونمر وذئب وثعلب وفهد وضبع
ودب وسيد وسرحان ، ومن قبائل قضاة أيضاً مصاد ، وبنو القين بن جشم
بن سلع بن أسد بن وبرة ، ودة وخ ، وجرم وهو عمرو بن علاف بن زبآن
بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة ، وراسب ، وبهراء ، وبللي بن عمرو
بن الحاف بن قضاة ، ومهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وعذرة
وهم بنو عذرة بن سعيد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سوادة بن أسلم بن الحاف
بن قضاة واليه ينسب العشق والتيم (ومن أحسن ما يحكي أنه قيل لرجل
منهم : ما بال العشق يقتلكم يا بني عذرة ؟ : قال لان فينا جمالا وعفة) ، ونهد بن
زيد ، بن سوادة بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وسعد هذيم وهذيم عبد حبشي
نسب اليه والشاعة منه ذو الكلاع وذو نواس وذو أصبح وذو جكن وذو
يزن ويطون كثيرة ، وولد كهلان بن سبأ زيد بن كهلان ، فولد زيد بن
كهلان مالك بن زيد وأدد بن زيد ، فولد أد طيء بن أدد والغوث بن أدد ،
ومن طيء بنو نبهان واسمه سودان بن عمرو بن الغوث بن طيء ومن طيء بنو
ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء الذي يذكره امرؤ القيس
رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مَخْرَجُ كَفْيِهِ مِنْ سِتْرِهِ
ومن طيء بنو سنبس وهم بنو سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو
بن الغوث بن طيء ، ومنها بولان واسمه غصين بن عمرو بن الغوث بن طيء
ومنها هناة وهم بنو هناة بن عمرو بن الغوث بن طيء

(١) الحاف من الحقي هو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة كقولهم العاص
واليمان وكقوله تعالى « دعوة الداع »

ومنها سدوس بن أصنع من بني سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء

ومنها سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء

ومنها بختر بن عتود بن عنيز بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء

ومنها زبيد وهم بنو زبيد بن معن بن عمرو بن عنيز بن سلامان بن ثعل

ابن عمرو بن الغوث بن طيء

وولد مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ يخابر بن مالك وقر بن مالك ومرتبع

ابن مالك ، فولد يخابر مذحجاً ، وهم بنو مذحج بن يخابر بن مالك بن زيد

ابن كهلان

ومن بطون مذحج جنب والنخع وهم بنو النخع واسمه جسر بن عمرو

ابن علة بن جلد بن مذحج

وولد مذحج مراداً وجلدًا وعذساً وسعد العشيرة وسمى كذلك لأنه

شهد الموسم ومعه بنون عشرة فليل له من هؤلاء فقال هم العشيرة ، وقيل سمي

سعد العشيرة لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل فكان

إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتي دفعا للعين عنهم

وولد سعد العشيرة جعفي بن سعد وحبيب بن سعد وصعب بن سعد

وعائذ الله بن سعد والحكم بن سعد

ومن قبائل كهلان بن سبأ كنده بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة

بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان

ومن بطون كنده السكون والسكاسك ابنا أشرس بن ثور بن كنده

ومن قبائل كهلان همدان وهم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوسكة بن

ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان

ومنها أيضاً خولان وهو خولان واسمه فكل بن عمرو بن يعفر المعافر

ابن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن

كهلان بن سبأ

ومن كهلان بن سبأ الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن
كهلان، ومنهم مازن بن الأزدي وميدعان بن الأزدي والهنو بن الأزدي
ومن قبائل الأزدي الأنصار وهم الأوس والخزرج وهما الأوس والخزرج
ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو وهو المزقياء قال سويد بن صامت
أنا ابن مزقياء عمرو وجدّي أبوه عامر ماء السماء
وعمر بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة
بن مازن بن عبد الله بن الأزدي بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان
بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأمه قليلة فيقال للأنصار أبناء قليلة
فولد الخزرج بن حارثة خمسة نفر جشم بن الخزرج وعوف بن الخزرج
والخارث بن الخزرج وكعب بن الخزرج وعمر بن الخزرج وكان يقال لهم القواقل،
ومن ولد عمرو بن الخزرج النجار وسمى النجار لأنه ضرب رجلا فنجره أي قطعه
ويقال لهم بنو النجار واسمه تيمم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج، ومن
بطون الخزرج: غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ومنهم
بنو مبدول واسمه عامر بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ومنهم
جديلة وهو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، ومنهم ملحان بن عدي
ابن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج، ومنهم بنو خدرية وبنو خدرية
بطنان من عوف بن الحارث بن الخزرج، ومنهم بنو القوقل وهم القواقل (١)
واسمه غنم بن عمرو بن عوف بن الخزرج، ومنهم بنو زريق بن عامر بن زريق
ابن حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، ومنهم بنو سلمة بن سعد
ابن علي بن أسد بن شاردة بن جشم بن الخزرج، ومنهم مازن بن النجار بن
ثعلبة بن عمرو بن خزرج

(١) وذلك ان الرجل كان اذا استجار يثرب قيل له قوقل حيث شئت فقد امنت

بطون الأوس : أما الأوس فهو أوس بن حارثة ، وولد أوس بن حارثة مالك بن أوس ، فمن مالك تفرقت قبائل الأوس كلها وبطونها فولد مالك عوفاً وهم أهل قُبَاء ، وولد عوفُ عمرًا هو النَبِيت ، ومُرة وهم الجعادرية يقال لهم أوس الله ، ومنهم ضُبَيْعة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ومنهم عاصم بن ثابت بن أبي الأُقلح ، وهو قيس بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة ، ومنهم جَحْجَجِي بن كُلْعة رهط أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحججي سيد الأوس في الجاهلية وزوج سلمى بنت عمرو النجارية ، ومنهم بنو عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج ، وبنو الحُبلي رهط عبد الله بن أبي سكلول ، ومنهم جبيب ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ومن الأنصار بنو جفنة بن عمرو وآل مُحَرَّر سمي محرراً لأنه كان يعاقب بالنار ، وهو الحارث بن عمرو ، وآل القَعْتَاع وهم ملوك غَسَّان بالشام

وولد وائلة بن حمير ، الشكاشك بن وائلة والعدد من حمير في وائلة ، انتهى نسب القحطانية ،

فأما وصلة النسب بين القحطانية والعدنانية فهو جرهم الثانية وهو من القبائل القديمة وهو جرهم بن يقطن بن عابر وعند عابر يجتمع النسب بين اليمنية والمضرية لان مضر كلها بنو فالغ بن عابر واليمن كلها بنو قحطان بن عابر

٤ - فصل في العرب العدنانية

وأما عدنان فأبو سائر العرب وهم يرجعون الى ابني نزار مضر وربيعه ، والنسبة بعد عدنان مشكوك فيها وغير مستقيمة ، فقد روى ابن عباس رضى أن النبي صلى الله عليه وسلم انتسب فلما بلغ الى عدنان وقف وقال كذب النسابون ، وروى عن عائشة رضى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « استقامت نسبة الناس الى عدنان » ، فولد عدنان (١) عك بن عدنان ومعد بن عدنان ، فلما عك فأول من

(١) من كتاب البدء والتاريخ المنسوب لابي زيد بن سهل البلخي بتصرف كبير

تبدى في البادية والعدد في معد فولد معد بن عدنان ثمانية نفر ، منهم قضاة
ابن معد وإياد بن معد ونزار بن معد والعدد في نزار ، فولد نزار أربع بنين مضر
وربيعة وأنمار وإياد

فاما مضر فولد إلياس والناس ، فولد الناس الذي هو عيلان بن مضر
قيس بن عيلان بن مضر ، وولد الياس بن مضر عمراً وهو مدركة وعامراً وهو
طابخة وعميراً وهو القمعة ، ويقال لولد الياس خندف ينسبون الى أمهم خندف ،
وهي ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة ، فمضر ترجع كلها الى
هذين الحيين خندف وقيس

فمن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد فمهم وعدوان وأعصر
ومن أعصر غني بن أعصر وسعد بن أعصر ومنبه بن أعصر ، ومن منبه ثقيف
بن منبه رهط الحجاج بن يوسف واسمه قبي ، ومن قيس غطفان بن قيس
بن عيلان وعبس بن بغيض بن ريث بن غطفان وهي احدى جمرات العرب
ومنهم عنبرة الفوارس (العبدى) والحطيئة وعروة بن الورد الشاعران

ومن بطون خندف بنو مدركة بن الياس بن مضر وهم : هذيل بن
مدركة وكنانة بن خزيمة بن مدركة

ومن هذيل الحيان بن هذيل وخزاعة بن سعد بن هذيل وكاهل
ابن الحارث بن سعد بن هذيل وحريث بن سعد بن هذيل وصاهلة بن
كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل وصبح وكعب

ومن بطون طابخة وهو عامر بن الياس بن مضر ضبة بن أد بن طابخة
ومزينة وهو بنو عمرو بن أد بن طابخة نسبوا الى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة
والرباب بنوا أد بن طابخة وهم عدى وتيم وثور وعكّل وصوفه وهو الربيط
بن الغوث بن أد بن طابخة

وولد الهون بن خزيمة بن مدركة « القارة » وهم أرمى حتى في العرب الذي
يقال في المثل « قد أنصف القارة من رماها »

وولد كنانة بن خزيمة بن مدركة النضر بن كنانة ومالك بن كنانة
وملكان بن كنانة وعبد مناة بن كنانة
فلما النضر بن كنانة فهو أبو قريش كلها

نرجع الى ربيعة بن نزار بن معد — فانه ولد أسد بن ربيعة وأكلب بن ربيعة
وضبيعة بن ربيعة ، فهؤلاء قبائل وبطون كثيرة فمنهم جديلة ودُعْمِيٌّ وشَنْ
ولكيز ونُكْرَة ، ومنهم الفدق وهنب بن أفصى والأرقام وودكس رهط
الاخلط الشاعر وبكر بن وائل وعجل وحنيفة وسدوس ونزار بن ضبيعة
ابن ربيعة بن نزار ، ومنهم المتلمس جرير بن عبد المسيح الشاعر والمسيب بن
عكس الشاعر والمرقش الأكبر والمرقش الأصغر عم طرفة بن العبد وعنزة بن
أسد بن ربيعة بن نزار وبنو جديلة بن عوف بن بكر بن أمار بن وداعة بن
لكيز وعبد القيس وهم بنو عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيٍّ بن جديلة بن أسد
ابن ربيعة

ومن جديلة وائل وهم بنو وائل بن قاسط بن هنب بن دُعْمِيٍّ بن جديلة
ومن وائل بكر وتغلب ومن بكر شَيْبَان

نرجع الى النضر — فولد النضر بن كنانة مالك بن النضر والصلت بن

النضر ، فصارت الصلت الى اليمن ورجعت قريش كلها الى مالك بن النضر
فولد مالك بن النضر فهر بن مالك بن النضر وولد فهر الحارث بن فهر بن
مالك ، فمن بني الحارث المطيبون والخلج

وأما فهر فمعه تفرقت قبائل قريش فولد فهر غالب بن فهر ومحارب
ابن فهر

وولد غالب بن فهر لؤي بن غالب وتيسم بن غالب فلما تيم فمنهم

بنو الأدرم بن لؤى بن غالب من أعراب قريش ، وأما لؤى بن غالب فاليه ينتهى
عدد قريش وشرفها

وولد لؤى كعب بن لؤى وسعد بن لؤى وخزيمة بن لؤى
وبنى عامر بن لؤى

فولد كعب مرة بن كعب بن لؤى و عدي بن كعب فمن عدي
ابن كعب بن لؤى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ومن مرة أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وولد مرة بن كعب كلاب بن مرة ،
وولد كلاب قصي بن كلاب بن مرة وزهرة بن كلاب ،

فأما قصي فاسمه زيد وإنما سُمي قصياً لأنه تقصَّى مع أبيه وتسميه قريش
مُجمَعاً لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة وبني بها دار الندوة وأخذ مفتاح البيت
من خزاعة ، وكان قريش قبل ذلك حلولا ، فمن ذلك قريش الأباطح كانوا ينزلون
الأبطح ، وقريش الظواهر كانوا ينزلون بظاهر مكة فجمعهم قصي
وفيه يقول الشاعر

أبوكم قصي كان يدعى مجعاً به جمع الله القبائل من فهر
وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم به زيدت البطحاء فخرأعلى فخر

فتزوج قصي بن كلاب ابنة حليم بن حبش الخزاعي فولدت له أربعة نفر :
عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبداً ، فأما عبد فبادوا كلهم ، وأما
عبد الدار فأنهم قتلوا يوم أحد إلا عثمان بن طلحة فإنه أسلم ودفع النبي صلى الله
عليه وسلم المفتاح اليه يوم فتح مكة ثم دفعه الى شيبه ، وأما عبد العزى فبقوا
ومنهم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى

وأما عبد مناف فولد عشرة نفر : فمنهم هاشم والحارث وعبداد ومخرمة
وعبد شمس والمطلب ونوفل ، واسم عبد مناف المغيرة ، وكانوا يسمونه الغمر
لجوده وفضله واليه صار السوداء بعد قصي ، فأما عبد شمس بن عبد مناف فإنه

ولد ولدًا يسمونه العبلات لأن اسم أمهم عبلة ، ويقال لعبد شمس أيضًا أمية الأصغر لأن لعبد مناف ولدًا يقال له أمية الأكبر وولدًا يقال له عبد العزى والربيع يقال له جرّو البطحاء ، وولد الربيع أبا العيص بن الربيع زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أخت خديجة . وأما أمية الأكبر فانه ولد حربًا وأبا حرب وسفيان وعمرًا وأبا عمرو ويقال لهم العنابس شبهوا بالأسد ، والعاص وأبا العاص والعيص وأبا العيص ويقال لهم الأعياص . فأما حرب بن أمية فولد أبا سفيان ابن حرب ، وأما أبو العاص فولد أبا عثمان بن عفان ، وأما أبو العيص فقالوا ولد أسيدًا أبا عتاب بن أسيد أمير مكة ، وأما هاشم بن عبد مناف فاسمه عمرو وسمى هاشمًا لأنه هشم الخبز ، ويقال كثير الخبز بالرحلتين بينهما في الصيف إلى الشام وفي الشتاء إلى اليمن ، واليه صار السؤدد بعد عبد مناف ، وولد هاشم ولدًا لم يُعقب منهم أحدٌ غير أسيد بن هاشم وعبد المطلب بن هاشم ، وهلك هاشم بغزة من أرض الشام وكان وافيها في تجارة له ، وخلفه ابنه عبد المطلب بن هاشم ، وعبد المطلب اسمه شيبه الحمد ، وذلك أن هاشم بن عبد مناف خرج إلى الشام في تجارة فمرّ بالمدينة وتزوج بسلمى بنت عمرو النجارية فحملت بشيبة ، ورحل هاشم فأت بأرض الشام وولده سلمى وترعرع الغلام وصار وصيفًا ، فقدم ثابت بن المنذر أبو حسان بن ثابت الشاعر مكة فقال للمطلب بن عبد مناف لو رأيت ابن أخيك لرأيت جمالًا وشرافًا ورأيت بين أطام بني قَيْنُقَاع يناضل فتيانًا من أخواله فيدخل في مرمايته جميعًا في مثل راحتي هذه ، والمرامة السهام ، وكانوا إذ ذاك يرمون بسهمين ، فخرج المطلب حتى قدم المدينة ومكث يرقب شيبه ، فلما أبصره عرفه بالشيبة ففاضت عينه ثم دعاه فكساه حلة ثم رده إلى أمه وأنشاء يقول :

عرفتُ شيبَةَ والنَجَّارُ قد جعلت أناءها حولها بالنَّبلِ تَنْتَضِلُ
عرفتُ أَجْلادَهُ منا وشيمته ففاضَ مني عليه واكفَّ سَبِيلُ

ثم أتى أمه فضنت به فلم يزل بها يُقبَلُ في الغارب والسنام حتى دفعته إليه

فاحتمله وقفل راجعاً الى مكة وهو رديفه ، ولم يكن للمطلب ولدٌ فقيل هذا عبده
فنشب اللقب عليه . ثم لما هلك المطلب بن عبد مناف قام بالأمر عبد المطلب بن
هاشم وكثرت أمواله وتأنث مواشيه فأجمع أن يحفر بئر زمزم بين أساف ونائلة
ليسقى الحجيج الأعظم ، واددت أن تستشره قريش وادعت لنفسها حقاً فيها
فأبى أن يعطيهم ، فتخاصموا وتحاكموا ، ولهم في ذلك قصة كبيرة نضرب صفحاً
عنها ، وتم له الأمر وأقام عبد المطلب سقاية زمزم للحجاج

وكان عبد المطلب نذر لله عز وجل حيث كان لقي من قريش مالتى عند
حفرة زمزم لئن وُلد له عشرة نفر يمنعون من يريده لينحرن أحدهم لله عند
الكعبة شكراً له ، فلما توافى بنوه العشرة جمعهم فأخبرهم بنذره قالو شأنك
وما نذرت ، قال ليأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم ليكتب فيه اسمه ثم ليأتني به
ففعلوا ، فقام فدخل بهم على هُبَلٍ في جوف الكعبة وضرب عليهم قداحهم
فخرج قدح عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أصغرهم ، فأخذ
بيده وحدد الشفرة وجره الى المذبح ، فقامت قريش من أنديتها وقالوا لا تدبجه
أبدًا حتى تعذر فيه ، لئذ فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيدبجه فما بقاء
الناس على هذا ، ولكن انطلق الى الحجاز فان بها عرافة لها تابع فسلها ، فرحل
عبد المطلب وقص عليها القصص ، فقالت صاحبكم وعشرًا من الابل ثم اضربوا
عليها بالقداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا حتى يرضى ربكم ، فرجعوا الى
مكة وقربوا الابل هُبَلٍ ولم يزالوا يضربون عليها بالقداح وعلى عبد الله والقداح
تخرج عليه حتى بلغت الابل مائة ثم خرجت على الابل ، فأمر فنهحرت بالبطحاء
وفي شعاب مكة وفجاجها وعلى رؤوس الجبال حتى أكلها الناس والطير ، ثم
أخذ عبد المطلب بيد عبد الله حتى اذا أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي فزوجه ابنته آمنة بنت وهب ، وأم آمنة بركة
بنت عبد العزى بن قصي بن كلاب ، فحملت آمنة بالنبي صلى الله عليه وسلم

ومات أبوه عبد الله بالمدينة والرسول حمل في بطن أمه فرثته آمنة بنت وهب
أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى

عفا جانب البطحاء من آل هاشم وجاور لحداً مدرجاً بالغمام
دعته المنايا دعوة فأجابها وماتت في الناس مثل ابن هاشم
ثم توفي عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله ابن
ثمان سنين أو أقل ، ورسول الله هو النبي الأمي الصدوق الأمين محمد صلى الله
عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
وما بعد هذا النسب فغير مستقيم . وأنا لنكتفي بما ذكرنا عن ذكر رجالات العرب
في الجاهلية والاسلام وكذلك به نكتفي عن ذكر تاريخ النبي الكريم الخافل
بجليل الفعال وحميد الخصال والمشمول على أشرف مبادئ الانسانية والحق
والعدل حتى لا نخرج عما رسمناه لأنفسنا في تصنيفنا هذا من الإيجاز

٧ — باب في لغة جزيرة العرب واختلافها

اللغة العربية في أسلوبها ونطقها وأوضاعها كثيرة الاختلاف باختلاف
القبائل ، فقد تكون بين لغات قوم وآخرين فروق صغيرة تسمى لهجات ، وقد
تكون كبيرة وتسمى لغات

وأفصح لغات العرب لغة العرب المستعربة ، وأفصح العرب المستعربة سبيع
قبائل : قريش وهم أفصح العرب السنة وأصفاهم لغة ويلهم في الفصاحة بقية
القبائل الست وهم : خمس من عليا هوازن وسعد بن بكر وجشم بن بكر ونضر
ابن معاوية وثميف ثم سفي تميم ، قال أبو عبيد وأفصح هؤلاء بنو سعد بن بكر
من هوازن وإذا قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب ميثأني من قريش

وإني نشأت في بني سعد بن بكر» وكان مسترضعاً فيهم

وكانت قريش ولادة البيت ، فكانت وفود العرب من حجاجهم وغيرهم ينفدون إلى مكة للحج ويتمحرون إلى قريش ، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلاقتهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب وأجودهم انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعةً وأبينها ابانةً عما في النفس . ومن الذين نقلت عنهم اللغة من قبائل العرب عدا قريش قيس وتيم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، فهؤلاء هم الذين عنهم أخذ وعليهم اتكل في الغريب وفي الأعراب وفي التصريف ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، فلم يؤخذ عن حضري ولا عن سكان أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فلم يؤخذ لا من أعجم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقطيف ، ولا من قضاة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام والروم وأكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية ، ولا من تغلب ولا من بكر لمجاورتهم الفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة ولا من أهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم

قال أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (١) في لغات أهل جزيرة العرب : أهل الشحر والأسعاء ليسو بفصحاء ، مهرة غتم يشاكون العجم ، حضر موت ليسو بفصحاء وربما كان فيهم الفصيح وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف ، سرو مدحج ومأرب وبيجان وحريب فصحاء وردى ، اللغة منهم قليل ، سرو حمير وجعدة ليسو بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير

ويجرون في كلامهم ويحذون فيقولون يا بن معيم في ابن العم وسمع في اسمع ،
لحنج وأبين ودثينة أفصح ، العامريون من كندة والأوديون أفصحهم ، عدن
لغتهم مولدة رديّة وفي بعضهم نوك وحماقة إلا من تأدب ، بنو مجيد وبنو واقد
والأشعر لا بأس بلغتهم ، سافلة المعافر غتم وعاليتها أمثل ، السكاسك وسط ،
بلد الكلاع نجدية مثيل مع عسرة من اللسان الحميري ، سراتهم فيهم تعقد ،
سحلان وجيشان ووراخ وخضير والصهيب وبذر قريب من لغة سروخير ،
يخصب ورعين أفصح من حبلان وحبلان في لغتهم تعقد ، حقل قتات فإلى
ذمار الحميرية القحة المتعقدة ، سرة مذحج مثل ردمان وقرن ونجدها مثل رداع ،
واسبيل وكومان والحداء وقائفة ودقار فصحاء ، خولان العالية قريب من ذلك ،
سحمر وقرد والجبلية وملاح والحنج وحمض وعتمة ووتيج (١) وسمح وأنس وألهان
وسبط ، إلى اللكنة أقرب ، حرّاز والأخروج وشم وماضح والأحبوب
والجحارب وشرف أقيان والطرف وواضع والمعلل خليطي من متوسط
بين الفصاحة واللكنة ، وبينهما ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة لاسيما الحضرية
من هذه القبائل ، بلد الأشعر وبلد عكّ وحكم بن سعد من بطن تهامة وحوارها
لا بأس بلغتهم ، إلا من سكن منهم القرى ، وهمدان من كان في سراتها من حاشد
خليطي من فصيح مثل عذر وهنوم وحجور ، وغتم مثل بعض قدم ، وبعض
الجبر نجدية ، بلد همدان البون منه المشرق والخشب عربي يخلط حميرية ،
ظاهر همدان النجدية منه فصيح ، ودون ذلك خيوان فصحاء ، وفيهم حميرية
كثيرة إلى صعدة ، وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلا في مثل قولهم « أم رجل
وقيد بعيرك ورأيت أخواك ، ويشرّكهم في ابدال الميم من اللام في الرجل والبعير
وما أشبهه الأشعر وعكّ وبعض حكم من أهل تهامة ، وعذر مطرة ونهم
ومرهبية وسكن الرحبة من بلحرت فصحاء ، صناف بالجوف الأعلى دون ذلك ،
خرمان وأثافت لا بأس بفصاحتهم ، سكن الجوف فصحاء إلا من خلطهم من

(١) - لم اهد إلى صحتها ولعلها ونيج

جيرة لهم تهامين، قابل نهم الشمالى ونعمان مرهبة فظاهر بنى عليان وظاهر
سفيان وشاكر فصحاء، بلد وادعة بنو حرب أهل إمالة في جميع كلامهم، وبنو
سعد أفصح، من ذمار الى صنعاء متوسط وهو بلد ذى جرّة، صنعاء فى أهلها
بقايا من العربية المحضة ونبت من كلام حمير، ومدينة صنعاء مختلفة اللغات
واللهجات لكل بقعة منها لغة، ومن يصاقب شعوب يخالف الجميع، شبام أقيان،
والمصانع وتخلي حميرية محضة، خولان صعدة نجدتها فصحاء، وأهل فدّها
وغورها غتم، ثم الفصاحة من العرض فى وادعة فجنب فيام فزبيد قبنى
الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران الى أرض يام فأرض سخان فأرض
نهد وبنى أسامة فعنز فختعم فبال فعامر بن ربيعة فسراة الحجر فدوس فغامد
فيسكر ففهم ففقيف فبجيلة فبنو على، غير أن أسافل سروات هذه القبائل
ما بين سراة خولان والطائف دون أعاليها فى الفصاحة، وأما العروض ففيها
الفصاحة ما خلا قراها، وكذلك الحجاز فنجد السفلى فالى الشام والى ديار مضر
وديار ربيعة فيها الفصاحة الا فى قراها، فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون
التبعيض والتغنيى

١ — فصل فى اختلاف لغة العرب

واللغة العربية المعهودة أى لغة العرب المستعربة أو لغة قبائل شمال جزيرة
العرب كثيرة الاختلاف باختلاف قبائلها بل فيها من اللغات ما هو مذموم
أما الاختلاف فمن الوجوه الآتية كما ذكر أحمد بن فارس
فمنها الاختلاف فى الحركات كقولنا نستعين ونستعين بفتح النون وكسرها
قال الفراء هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد، وغيرهم يقولونها بكسر النون
ومنها الاختلاف فى ابدال الحروف نحو أولئك وأللك وكقولهم عن زيداً
بدلاً من أن زيداً

ومنها الاختلاف فى الهمز والتلين نحو مستهزون ومستهزون
ومنها الاختلاف فى التقديم والتأخير نحو صاعقة وصاقة

ومنها الاختلاف في الحذف والاثبات نحو استَحْيَيْتُ واستَحَيْتُ وصدَدْتُ
وأصدَدْتُ

ومنها الاختلاف في الحذف الصحيح يُبدل حرفاً معطلاً نحو أَمَّا زَيْدٌ
وَأَيْمًا زَيْدٌ

ومنها الاختلاف في الامالة والتفخيم في مثل قَضَى ورمي
ومنها الاختلاف في التذكير والتأنيث فان من العرب من يقول هذه البقر ،
ومنها هذا البقر

ومنها الاختلاف في الادغام نحو مهتدون ومهيدون
ومنها الاختلاف في الاعراب نحو ما زَيْدٌ قائماً وما زَيْدٌ قائمٌ وكقوله
تعالى « فذلك برهانان من ربك » لم تحذف منها نون التثنية للاضافة

ومنها الاختلاف في صورة الجمع نحو أسرى وأسارى
ومنها الاختلاف في هاء الوقف على التأنيث مثل هذه أمة وهذه أُمَّت
ومنها الاختلاف في الزيادة نحو أنظر وأنظور
ومنها الاختلاف في التضاد نحو قولهم في لغة حمير رب بمعنى أقعد

قال ابن جنى في تعليل هذا الاختلاف : ان سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا
تُحْظَرُهُ عليهم ، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك اعمال « ما » يقبلها القياس ولغة
الحجازيين في اعمالها كذلك لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس
يؤخذ به ويُخلدُ الى مثله ، وليس لك أن تردَّ احدى اللغتين بصاحبها لأنها
ليست أحق بذلك من رسلتها ، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير احدهما
فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبلُ لها وأشدُّ أنساً بها فأما ردُّ
احدهما بالأخرى فلا ، الى أن قال فأما أن تقلَّ احدهما جداً أو تكثر
الأخرى جداً فانك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً »

٢ — فصل في المذموم من اللغات

أما اللغات المذمومة فهي :

الغنمة في لغة تميم وهي قلبهم الهمزة في بعض كلامهم عينا فيقولون « سَمِعْتُ عَنْ فُلَانًا قُلْ كَذَا » يريدون « أَنْ »

والكشكشة في أسد وهي إبدال الكاف شيئا فيقولون عَلَيَّش بمعنى عليك أو أنهم يصلون بكاف ضمير المؤنث شيئا في الوقف فاذا وصلت أسقطت الشين فيقولون عَلَيَّش وإِنكش وأعطيتكش ورأيتكش

والكسكة التي في هوازن وهي أَنْ يصلوا بالكاف شيئا فيقولون عَلَيَّكش مِنكش ونكش وأعطيتكش وهذا في الوقف دون الوصل أيضا

وتلثة بهراء فانهم يقولون تَعْلَمُونَ وتَفْعَلُونَ وتصنعُونَ بكسر أول الحرف وعجرفية ضبة وقيس ، وفراية العراق ، وغممة قضاة ، يجعلون الياء

المشددة جيما يقولون تميمج في تميمي

وطمطانية خير ، والفحفة في لغة هذيل وهي جعل الحاء عينا ، والوكم في لغة ربيعة يقولون عليكم وبكم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة ، والوهم في لغة كلب كنهم وعنهم وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة ، والامتنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس يجعل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء كأ نطى في أعطى ، والوتم في لغة اليمن يجعل السين تاء كائنات في الناس ، والشذشنة يجعل الكاف شيئا كلبيش اللهم لبيش أي لبيك

ومن العرب من يجعل الكاف جيما كالجعبة يريد الكعبة

قال ابن جني في ذلك فاذا كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها ، إلا أن إنسانا

لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين ،
فأما ان احتاج الى ذلك في شعر أو سجع فانه مقبول منه غير منعي عليه

٨ - باب في مراتب كلام العرب

وكلام العرب من حيث البيان والوضوح على ثلاثة ضروب واضح
ومشكل ومشتبه

فاما واضح الكلام (١) فالذي يفهمه كل سامع عَرَفَ ظاهر كلام العرب
نحو شربت ماء ولقيت محمداً وكما جاء في القرآن الشريف « حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ
وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ » وقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم « اذا استيقظ أحدكم
من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثاً » وكقول الشاعر
ان يحسدوني فاني غير لأعمهم قبي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
وهذا الضرب هو أكثر كلام العرب وأعمه

الضرب الثاني المشكل : وهو الذي يأتيه الاشكال من غرابة لفظه أو أن
تكون فيه اشارة الى خبر لم يذكره قائله على جهته ، أو أن يكون الكلام في
شيء غير محدود ، أو يكون وجيزاً في نفسه غير مبسوط ، أو تكون ألفاظه
مشاركة . فاما المشكل لغرابه لفظه فقول القائل « يَمْلُخُ في الباطل مَلَخاً يَمُضُ
مَذْرُوبُهُ وقوله أَيْدَالُكَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةُ » قال « نعم » اذا كان مُلَفَّجاً : وقوله
أَعْمَدُ مِنْ سَيِّدٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ، وقال بن ميادة

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم صدام الأعادي حين فُلَّتْ نُيُوبُهَا
قال الخليل ومعناه هل زدنا على أن كفينا وقال ذوؤيب

ضخب الشوارب لا يزال كأنه عبد لآل أبي ربيعة مُسَبَّعٌ
فقوله مُسَبَّعٌ مافسر حتى الآن تفسيراً شافياً

وقول الأعشى

(١) الصاحبي لاحد بن فارس

ذات غُرب ترمي المُقَدَّم بِالرَّدِّ ف إذا ما قَتَّاع الأَرَوَاق
و كقوله في هذه القصيدة

المُهَنِّين ما لهم في زمان الـ جَدَّب حتى إذا أَفَاقَ أَفَاقُوا
و كقولهم : « يا عَيْدَ مالِك » و « يا هَيْ مَالِك » « يا شَيْ مَالِك »
و قولهم : بِخائِبِكَ أَلْحَق و يَهْتَفُونَ وَحْيَ هَلْ
و قولهم « صَه » و « وَنَهَكَ » و « إِنْ يَهْ » فلم يفسروا ذلك
ومن المشكل الغريب « حَيَّ » و « حَيَّ هَلَا » و « بعين ما أَرَيْتَكَ » في موضع
أَعْجَل . و « هَجَج » و « هَجَا » و « دَعَّ » و « دَعَا » و « لَعَا »
المدعاء للعائر

و كقولهم للزجر : « أَخَر » و « أَخْرَى » و « هَا » و « هَلَا » و « هَاب »
و « أَرْحَبِي » و « عَدَّ » و « عَاج » و « يَاعَاطِ » و « إِجْدِ » و « أَجْمِ »
و « حَرَّج » و قول الشاعر :

وما كان على الجيِّ ولا الهَيِّ امتداحيكا

فلا يعلم أن أحداً فسَّر هذا
ومن الغريب في شعر العرب قوله
وقاتم الأعماق شازِ بن عَوَّه
مَضْبُورَةٌ قَرَوَاء هِرْجَابِ فُنُق
وقول القائل :

كذبتُ عليكم أَوْعِدُونِي وَعَلِّمُوا بِي الأَرْضَ وَالْأَقْوامَ قِرْدانَ مَوْطِباً
وقول الآخر :

كذبَ العَتِيقُ وماءَ شَنِّ بَارِدٍ إِنْ كُنْتَ سائِلَتِي غَبُوقاً فَادْهَبِ
وقول الأَفْوه :

عنكمُ في الأَرْضِ أَنَا مَذْحِجٌ ، وَرُوَيْدًا يَفْضَحُ اللَّيْلَ النَّهارُ فَعَنَكَ فِي
الأَرْضِ أَوْ عَنكَ شَيْئاً مِنَ الغَرِيبِ الَّذِي لَمْ يَفْسِرْ

وقول امرئ القيس

دَعَاكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ

وقولهم : ان العَصَا قُرِعَتْ لَدَى الْحِلْمِ
ومن الغريب المشكل في أمثال العرب : بَاقِعَةٌ ، وشرابٌ بَاقِعٌ ، ومخرَّبٌ
إِيذْبَاعٌ ، ومنه رُوِيَ دَا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ ، وقوله النَّمَرَاتِ ثُمَّ يَجْلِينَا ،
وقوله وضعوا اللَّجَّ عَلَى قَفَى ،

ومن الغريب في كتاب الله جلَّ ثَنَاؤُهُ : « فَلَ تَعْضُلُوهُنَّ » « ومن الناس
مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ » و « سَيِّدًا وَحْصُورًا » و « يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ » وغيره كثير
مما صنف العلماء في كتب غريب القرآن

ومما جاء في الحديث من الغريب « عَلَى التَّيْعَةِ شَاةٌ » « وَالتَّيْمَةُ لَصَاحِبِهَا »
وفي السُّيُوبِ الْخُمْسُ لَا خِلَاطَ وَلَا وِرَاطَ وَلَا شِنَاقَ وَلَا شِغَارَ » ومن
أَجَبِي فَقَدْ أَرَبِي »

الضرب الثالث : المشتبه . وهو ما ليس بغريب اللفظ ولكن الوقوف على
كنهه معتاص كقولهم الحين والزمان والدهر والأوان وكقولهم عُبْسُورٌ فِي النَّاقَةِ
و ، امرأةٌ ضِنَانِيَّ ، و « فَرَسٌ أَشَقُّ أُمِّ قُحْبُقٍ »

وقد كان لهذا الكلام كله ناسٌ يعرفونه ويعلمون معنى ما نستغربه اليوم
ولكن ذهب هذا كله بذهاب أهله ولم يبق عندنا إلا الاسم الذي نراه

٩ — باب في بلاغة القرآن

ذكرنا فيما تقدم اختلاف لغات قبائل العرب وبيننا الفصحى منها من
الغُتْمَى وعددنا وجوه الكلام والآن نذكر أفصح الكلام العربي على
الاطلاق وهو القرآن الشريف ، فقد جاء نظمه في الناية القصوى من الفصاحة
والسلامة من جميع العيوب ، وإن أوجز وصف له أن العرب عجزت عنه وهو
بلسانها مع تحدى النبي الكريم إياهم وتعريفهم بالعجز عنه « وهم الغاية في الفصاحة

والنهاية في البلاغة ، وأولو العلم باللغة والمعرفة بأنواع الكلام من الرسائل والخطب
والسجع والمقفي والمنثور والمنظوم والأشعار في المبكر وفي الحب والزجر
والتحريض والاعراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين ، ففرع به أسماهم وأعجم
به أذهانهم وقبح به أفعالهم ودم به آراءهم وسفه به أحلامهم وأزال به دياناتهم
وأبطل سنتهم ، ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيراً مع كونه عربياً مبيناً « (مروج الذهب) . وان أحسن ما قيل في
وصفه ما ذكره القاضي عياض في الشفا ننقله هنا قال : ان كتاب الله العزيز
منطوق على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة
وجوه : أولها حسن تأليفه والتسام كلمة وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة
عادة العرب ، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام ، قد خُصوا
من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم
يؤت انسان ، ومن فصل الخطاب ما يُثبِتُ الباب ، جعل الله لهم ذلك طبعاً
وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة ، يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل
سبب ، فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب ، ويرتجزون به بين الطعن
والضرب ، ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون ،
فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سُمط اللال
فيخدعون الالباب ويدللون الصعاب ، ويذهبون الاحن ويميجون الدمن
ويجرون الجبان ويبتسطون يد الجعد البنان ، ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون
النبية خاملاً ، منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم
والطبع الجوهرى والمنزع القوى ، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ
الناصعة والكلمات الجامعة ، والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرنق الرقيق الحاشية ، وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة
والقوة الدامنة والقدر الفالج والمهيع الناهج ، لا يشكون أن الكلام طوع

مرادهم والبلاغة ملك قيادهم ، قد حَوَّوا فنونها واستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلَّوْا صَرَحا بلوغ أسبابها ، فقالوا في الخطير والمهين وتفَنَّنوا في الغث والسمين وتقاوَلوا في القلِّ والكُثر ، وتساجلوا في النظم والنثر ، فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر إيجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوث كل البيان جوامعه وبدائعه ، واعتدل مع إيجازه حُسن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ، وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا ، وأشهر في الخطابة رجالا وأكثروا في السجع والشعر ارتجالا ، وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون ، صارخا بهم في كل حين ، ومقرعاً لهم بضعا وعشرين عاما على رؤوس الملأ أجمعين ، الخ.

الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفت متقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه ، بل حارت فيه عقولهم وتدلَّهت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ، ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق ، فجاءه أبو جهل منكرا عليه ، فقال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا ، فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه ، قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنثته ولا وسوسته ، قالوا فنقول شاعر قال ما

هو بشاعر، قد عرفنا الشعر كله رجزاً وهزجاً وقريضاً ومبسوطاً ومقبوضاً ما هو بشاعر، قالوا فنقول ساحرٌ قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده، قالوا فما نقول، قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا وأنا أعرف أنه باطل وأن أقرب القول أنه ساحرٌ فإنه سحرٌ يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته، فنفروا وجلسوا على السبل يحذرون الناس، فأنزل الله تعالى في الوليد «ذرني ومن خلقت وحيداً» الآيات، وقال عتبة ابن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم لقد علمتم أني لم أترك شيئاً إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، وقال النضر بن الحرث نخوه، وفي حديث اسلام أبي ذرٍّ ووصف أخاه أنيساً فقال والله ما سمعتُ بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض انني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم وأنه انطلق الى مكة وجاء الى أبي ذرٍّ يخبر النبي صلى الله عليه وسلم، قلتُ فما يقول الناس، قال يقولون شاعرٌ كاهنٌ ساحرٌ لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقرأء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدى أنه شعرٌ وإنه لصادقٌ وأنهم لكاذبون، والأخبار في هذا صحيحة كثيرة، والاعجاز بكل واحد من النوعين الإنجاز والبلاغة بذاتهما، والأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق، لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مابين لفصاحتها وكلامها، والى هذا ذهب غير واحد من أئمة المحققين، وذهب بعض المقتدئ بهم الى أن الاعجاز في مجموع البلاغة والأسلوب، وأتى على هذا بقول تمجبه الأسماع وتنفّر منه القلوب، والصحيح ما قدمنا والعلم بهذا كله ضرورة وقطعاً، ومن تفنّن في علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه، وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه، فأكثرهم يقول انه مما جمّع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه

وأسلوبه لا يَصِحُّ أن يكون في مقدور البشر ، وأنه من باب الخوازيق الممتنعة
عن أقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى ، وذهب
الشيخ أبو الحسن الى أنه ممّا يُمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويُقدِرُهم الله عليه ، ولـسـكـنـه لم يكن هذا ولا يكون ، فمنعهم الله تعالى وعجزهم
عنه ، وقال به جماعة من أصحابه وعلى الطريقين ، فعجزُ العرب عنه ثابتٌ واقامة
الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحدّيتهم بأن يأتوا بمثله قاطعٌ ،
وهو أبلغُ في التعجيز وأحرى بالتقريع ، والاحتجاجُ بمجىء بشر مثلهم بشيء
ليس من قدرة البشر لازمٌ وهو أبهرُ آية ، وأقنعُ دلالة ، وعلى كل حال فما أتوا في
ذلك بمقال ، بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كأسات الصغار والذل ، وكانوا
من شموخ الأنف وابائة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً ، ولا يرضونه الا
اضطراً ، والا فللمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم ، وأسرع
بالنجح وقطع العذر والحام الخضم لديهم ، وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة
في المعرفة به لجميع الأنام ، وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في
إخفاء ظهوره وإطفاء نوره ، فاجلّوا في ذلك خبيثة من بنات شفاهم ، ولا أتوا
بنظفة من ممين مياهم مع طول الأمد وكثرة العدد ، وتظاهر الوالد وما
ولّد ، بل أبلسوا فما نسبوا ومنعوا فانقطعوا ، فهذا نوعان من اعجازه ،
ونكتفي بذلك خشية التطويل

١٠ — باب في اللغة العربية بين اللغات

اللغة العربية هي احدى اللغات السامية أي اللغات التي تتكلمها الأمم
السامية ، وهي التي سكنت شمالى بلاد العرب وجنوبيها وفي بابل وآشور ،
والآراميون على اختلافهم والعبرانيون والفينيقيون والآثيوونيون وأمم شمال
افريقية وبعض سواحلها الشرقية ،

والهذه اللغات وهي السريانية والعبرانية والآرامية والفينيقية والعربية
والحبشية ، بعضها لا يزال حياً وبعضها مات واندر ،

واطلاق لفظ سامية على هذه اللغات سببه أن شلوزر (١) في أواخر القرن
الثامن عشر حوالى عام ١٧٨١ بعد الميلاد ، لما رأى تقارب هذه اللغات بعضها
من بعض ، ورأى الأمم التى تتكلمها وهم الآراميون والعبرانيون والعرب هم من
نسل سام بن نوح ، كما جاء فى الكتاب الاول من كتب موسى فى الاصحاح
العاشر من سفر التكوين ، أطلق اسم اللغات السامية على هذه اللغات جميعاً

وسفر التكوين هذا يقسم أمم آسيا القديمة الى ثلاثة أقسام كبار ، على رأس
كل قسم منها واحد من أولاد نوح وهم سام وحام ويافث ، فقد جاء فى الاصحاح
العاشر من سفر التكوين ما يلى « وهذه مواليد بنى نوح سام وحام ويافث الخ . » ،
وترتيب الأمم كما ذكر فى سفر التكوين ليس مبنياً على مبادئ لغوية ولا

على أصول شعبية ، وإنما هو للعلاقات السياسية والجغرافية والروابط العمرانية ،
ولذلك فإن الميلاميين واللوديين ليسو هم من نسل عيلام بن سام بن نوح
ولكنهم يتكلمون لغة لها اتصال باللغة السريانية وهاجر الى بلادهم كثير من
الساميين ، فى حين أنه قد نسب أقرب الأمم الى العبرانيين لغة وتاريخاً وهم
الفينيقيون والكنعانيون الى حام للعلاقات السياسية والعمرانية المتينة بينهم
وبين المصريين ، وكذلك لم يوضح سفر التكوين أمم جنوب بلاد العرب
وبلاد أثيوبية تمام الوضوح ، وليست الأمم المذكورة هنا هى كل ما يشمل لفظ الأمم
السامية ، فإنه يوجد من البراهين القوية ما يثبت أن المصريين هم من الأمم السامية ،
وكما تقدمت دراسة أقدم صور الكلام المصرى القديم زادت مشابهته للغات السامية
وضوحاً ، وللاستاذ أرمن Erman العالم بالآثار والعادات المصرية رأى
فى ذلك ، وهو أن المصرى القديم هو لغة سامية انفصلت من فجر التاريخ عن أخواتها
واتبعت طريقها الخاص من آلاف السنين ، وللاستاذ أدوار نابيل (٢) بحث

(1) La science du langage par Max Müller, Paris 1876

(2) Edouard Naville, L' évolution de La Langue Egyptienne
et des Langues semitiques, Paris 1920

مستفيض في هذا الموضوع في كتابه الموسوم نشوء اللغة المصرية واللغات السامية المطبوع في باريس عام ١٩٢٠، فليراجعه من أراد الاستفاضة في هذا الموضوع على أن هذا الاسم هو في الواقع أحسن ما يتفق على وضعه من الأسماء، وجعل العلم الحديث معنى آخر له غير ما يراد به في سفر التكوين لا يمنع من استعماله واللغات السامية هي أقرب شبيهاً بعضها من بعض من اللغات الآرية وهي الهندية الأوروبية

وهذه الاعتبارات عينها تنطبق بعض الانطباق على اللغات المسماة حامية نسبة إلى حام بن نوح، وهي عدا المصرية والقبطية لغات البربر التي يتكلم بها في شمال أفريقية من برقة إلى البحر المحيط، وهي اقبايلي والعاماشك، ولغات الكوشيين التي يتكلم بها في بلاد الحبشة وما يجاورها من الأقاليم على سواحل البحر الأحمر بقرب مصوع وباب المندب وساحل المحيط الهندي وجنوب بلاد الحبشة، وهي البشارية والبجة والساهو والجلال والدنقلي (جمعها دناقل) أو غفر والصومالي ولغات آغو والبيلين والخمير والقرا الخ، فإن لمجموع هذه اللغات شبيهاً باللغات السامية لاسيما المطابقة العجيبة في صور الكلمات، وسواء كانت المطابقة ناشئة عن قرابة، وهو ما يظهر بعيد الثبوت، أو عن استعارة فإن هذه اللغات لا مشاحة قد انفصلت بعضها عن بعض قبل التاريخ

والاختلاف بين اللسان المصري القديم وبين اللغات السامية كالعربي والعبراني أقل منه بين هذه اللغات وبين اللغات البربرية والكوشية حتى جعل قوم يذهبون إلى عند اللغة المصرية القديمة من اللغات السامية

ووجود القرابة بين اللغات السامية واللغات الحامية، التي هي المصرية القديمة والقبطية والعاماشك والبجة والجلال والصومالي والساهو ولغات آغو وهي البيلين والخير والقرا والدناقل أو غفار، هو أولاً وجود الحروف الخلقية كالمهزة والعين فيها كما في اللغات السامية، وثانياً أن أصول كلماتها ثلاثية، وثالثاً تشابه الضمائر المتصلة في المجموعتين من اللغات، ورابعاً أن الفعل المتعدي في كلاهما يكون بتشديد عين الفعل مثل قتل وبعد الخ

وهذه اللغات الأفريقية يطلق عليها غالباً لفظ السامية الحامية

١١ — باب في القول في مهد الساميين

وقد اختلفت الآراء في مهد الساميين ومبدأ نشأتهم ، والمتفق عليه الآن أن منبتهم ومهد نشأتهم هو جزيرة العرب ، وهو رأى كثير من العلماء ، ثم انفصلوا أقواماً رحلوا الى الشمال أولاً حيث غمروا أرض الجزيرة (بابل وآثور والعراق) وطغوا على أممها المتمدينة قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من السنين ، ثم تحضروا وبنوا المدن والقرى وخالطوا أهل البلاد الأصليين الصوميريين والأكديين ، وتعلموا منهم الخط (البابلي) والأدب ورحلوا الى الجنوب كذلك ، فهاجروا الى بلاد الحبشة وكوّنوا أممها السامية وتفرقوا في كل مكان ، حيث نمت معهم لغتهم وحفظوا مميزاتهم

وذكر عبد الله بن المقفع (١) أن بادية الحجاز كانت في الزمان الأول كلها ضياءً وقرى ومساكن وعيوناً جارية وأنهاراً مطردة ثم صارت بعد ذلك بحراً طافحاً تجري فيه السفن ثم صارت قفراً يابساً ولا يدري كيف اختلفت عليها الأحوال ولا كم يختلف الا الله تعالى

وقد حاول العالم الايطالى الامير قاطانى داطيانوا (Prince Gaetani da Teano) أن يستدل بالبراهين المستنتجة من الحوادث الأرضية (الجاولوجية) على أن بلاد العرب كانت في العصور المتقدمة على التاريخ بلاداً خصبة ترويه ثلاثة أنهر عظام وتطعم شعباً كثير العدد ، فلما انحسرت المثالج الشمالية العظيمة وجفت الأرض اضطر سكانها الى البحث عن مساكن لهم خارج الجزيرة

والعرب الساكنون في الصحراء في قلب الجزيرة لانفصالهم عن مجاوريهم ، وتحصنهم في جوف جزيرتهم ، وقلة مخالطتهم الأمم المجاورة لهم ، حفظوا لذلك السبب كثيراً من مميزاتهم القديمة وعوائدهم ولغتهم من التغيير والتبديل دون سائر أقوامهم الذين تزحوا عن بلادهم أفواجا الى أطراف الجزيرة ، حتى جاء

الاسلام في القرن السابع الميلادي ، فتعززت بذلك قوتهم وقويت شوكتهم واندفعوا بعامل الدين الى فتح البلاد ، فتغلبوا في مدة قرن من الزمان على آسيا الغربية وشمال افريقية ، وامتد سلطانهم من قلب الهند الى جوف فرنسا ، ونقلو معهم لغتهم ومدنيتهم التي شادوها على تراث المدن التي تقدمتهم .
وقد دلت الابحاث الأثرية والاستكشافات التاريخية على ما كان لبلاد العرب الجنوبية الغربية من المدنية والتقدم والعمران نحو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهي أخصب بلاد العرب أرضاً وأوفرها محصولاً ، وكانت أشهر مدنها العامرة معين وسبأ ، ومن بلاد اليمن اجتاز العرب الحجاز المسمى باب المندب الى الساحل المقابل لبلادهم من افريقية وتوطنوا فيه وكونوا مملكة مستقلة تسمى أثيوبية أو بلاد الحبشة ! بل أن هذه الأمة الجديدة كثيراً ما حاربت أمها القديمة وملكّت بلادها .

١٢ — باب في تقسيم اللغات السامية (١)

اللغات السامية تنقسم الى قسمين عظيمين قسم شرقي ، وهو الذي يشمل لغات بابل وآثور ، وقسم غربي ، وهذا القسم الغربي ينقسم الى قسمين شمالي ويشمل الكنعانيين (وهم الفينيقيون والعبرانيون) والمؤابيين والأراميين وقسم جنوبي ويشمل العرب والحميرين والحبش

والكنعانيون هم قوم من الساميين دخلوا هذه البلاد الشمالية المتمدية قبل الأراميين وسكنوا الغور الموازي لشاطئ بحر الروم ، وأقدم آثارهم الكتابية اللغوية وهي كتابة بحروف ولغة بابلية أي بحروف اسفينية أو مسمارية ، كتبها بعض أمراء فلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد الى أمينوفيس الرابع ملك مصر ، وهذه الكتابة وجدت في تل العمارنة في مديرية أسيوط ، وفي هذه الكتابة توجد أخص الصفات المميزة للنطق الكنعاني وفيها الالف الممدودة

(١) معولنا في كتابة هذا الفصل في الاكثر على محاضرات استاذنا الدكتور أنوليتان التي ألقاها في الجامعة المصرية وعلى كتاب بروكاز في مقارنة اللغات السامية وعلى دائرة المعارف العبرية Jewish encyclopedia

محولة الى ألف مائلة ، وينسب ذلك الى وجود هذا النطق عند الامم التي سكنت هذه البلاد قبل الساميين ، ومن أقدم آثارهم كذلك بعد كتابة تل العمارنة . كتابة ميسع ملك مؤاب وتاريخها ٩٠٠ قبل المسيح ، وقد اكتشفت في سنة ١٨٦٨ وهي محفوظة في متحف اللوفر في باريس ومنها تعرف جميع الخصائص النحوية والانشائية المميزة لأشهر اللهجات الكنعانية وهي العبرانية

وأهم اللهجات الكنعانية هي العبرية لغة بني اسرائيل ، وأقدم آثارها ترثم دبوره الذي يرجع الى زمن الفتح أى الى ستة قرون قبل المسيح ، وقد كان زوال الاستقلال اليهودي ضربة قاضية على اللهجة العبرية ، ولم يهجر المنفيون من بلاد يابل من العبرانيين لسانهم ، ولكنهم تمسكوا به بقدر اشتداد الحزن التي كابدوها في عقائدهم ، ولما عادوا الى بلادهم وجدوا لغتهم لا تزال حية يتكلم بها العامة ، ومنذ ابتداء العصر اليوناني اضمحلت اللغة العبرية ، ولم يتمكن الذين هاجروا الى مصر أو توغلوا أبعد من ذلك غرباً من حفظ لغتهم الاصلية أراء اللغة الاغريقية ، وكذلك الذين لم يبرحوا أرضهم فقد كان موقفهم كذلك الموقف حيال اللغة الأرامية التي انتشرت حينئذ في جميع آسيا الغربية حتى صارت لغة العامة ، ولم يتمكنهم حفظ لغتهم الوطنية من الأرامية لتقارب اللهجتين بعضهما من بعض ، وصارت اللهجة العبرانية لغة الدين مدة قرون ، وكتب بها بعض الكتابات بعد أن هجرها العامة بزمان طويل ، ومن أهم اللهجات الكنعانية بعد العبرية الفينيقية ولهذه اللهجة آثار كتابية يرجع بعضها الى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد ، وهي تطابق اللهجة العبرية بأصولها السواكن مطابقة تامة ، وأشهر مدن فينيقية مدينتا صور وصيدة . والفروق بينها وبين اللهجة العبرية في الحروف المتحركة أهم منها في الحروف السواكن ، وكذلك النحو ، على ما يفهم من انشاء الكتابات ، لم يكن مطابقاً تمام المطابقة للنحو العبري ، وأعظم الخصائص النحوية في اللهجة العبرية والمشاركة بينها وبين اللهجة المؤابية استعمال الزمن في حكاية الماضي في الكلام فانه يبدأ بالتام ويستتبع بالناقص ويقابل ذلك أن للفينيقين بناء للفعل غير معروف في اللهجة العبرية ولكنه وجد بعد ذلك في اللغة العربية وهو صحة الدلالة على

الأزمان باستعمال فعل مساعد هو كان أمام التام من الفعل لجعله غير تام
وقد انتشرت اللغة الفينيقية في أكثر بلاد ساحل بحر الروم وخاصة في شمال
أفريقية في قرطاجة وما حولها من البلدان

١ - فصل في تقسيم اللهجات الآرامية

اللهجات الآرامية على قسمين قسم غربي وقسم شرقي
فالقسم الغربي يشمل : ١ الآرامية الغربية القديمة المختصة بالتوراة والبردى
٢ التدمري - ٣ النبطي - ٤ الآرامية اليهودية المقدسة والجليلية أي الفلسطينية
٥ الآرامية الفلسطينية النصرانية - ٦ السامري
والقسم الشرقي يشمل - ١ الآرامية البابلية أو اليهودي البابلي - ٢ المانية
أي لغة أتباع مان وهم الصابئة - ٣ السرياني القديم والجديد
واللهجات الآرامية هذه كانت منتشرة في بلاد بني آرام ما بين كنعان
والجزيرة أي بابل وآثور وهي التي يطلق عليها اسم سوريا، والمظنون أن بني آرام
هؤلاء أتوا من البادية كالعبريين وبقية بني سام وتغلبوا على البلاد نحو القرن
الثامن قبل الميلاد، وانتشرت لهجاتهم فيها قليلا قليلا وحلت محل البابلية والآثورية
والعبرية والفينيقية، وصارت اللغة الآرامية لغة عمومية في ذلك الزمان، يكتب
بها الأهالي ويتكلمون من حدود مصر إلى أرض فارس ومن جزيرة العرب
إلى بلاد الأناضول أي أهل سوريا وفلسطين والعراق وهم بنو آرام واليهود
والفينيقيون، وكانت لغة سياسية مثل اللغة الفرنسية في العصر الحاضر حتى جاء
العرب في الفتح الإسلامي فورثت لغتهم هذه اللهجات
ومن اللهجات الآرامية التي ذكرناها التدمرية والنبطية
ومملكة تدمر كانت تحت حكم الرومان فخاربت ملكتها الزبابة التي يسميها
اليونانيون والرومان زينوبيا الدولة الرومية طالبة استقلال بلادها، فأسرها الرومان
وشهروا بها في رومة عاصمة بلادهم، ولهجتهم آرامية وبها قليل من العربية وملكته
هذه عربية الأصل

وأما النبطية فهي لغة النبط وأصلهم من العرب خالفهم قليل من بني آرام ومولوكهم الحارثيون ، ولغة العامة في مملكة النبط هي لهجة عربية ، ولما كانت الأرامية لهجة دولية كما قدمنا استعمالها النبط في كتاباتهم ، وكتابة النبط هذه مشهورة ، لأن من الخط النبطي اشتق الخط العربي القديم ولما كان خطهم آرامياً سمي العرب كل الأراميين نبطاً ، ولما كان بعض بلاد الأراميين خصباً اشتهر النبط بالفلاحة ، وكانت مملكة النبط عظيمة القدر في القرنين الأول قبل الميلاد والأول بعده ، وقصبة بلادهم صلح أو سلع في وادي موسى بالقرب من معان وتسمى عند اليونانيين بطرا Petra ومعنى الاسمين واحد ، ومن أشهر مدنها مدائن صالح في جزيرة العرب

وكان النبط يستعملون اللهجة الأرامية مخلوطة ببعض الكلمات العربية ، ثم تنوسى اللسان الأرامي قليلاً قليلاً حتى باد في سنة ثلاثمائة بعد الميلاد تقريباً ، ثم كتبوا لغتهم العربية بحروف نبطية ، وأقدم ما كتب بلغة عربية وحروف نبطية هي كتابة النمارة ، وآخر الكتابات النبطية كتابة أم الجال وهي خربة كبيرة في بادية الشام قريبة من بصرى أسكي شام ، وفي هذه الكتابة وهي كتابة فيهر استعمال الخط النبطي المتأخر المائل للخط الكوفي ، وفي ذلك الوقت كانت بلاد النبط إيالة تابعة للدولة الرومانية وتسمى باللاتينية Provincia arabica واللهجة المانية هي لغة اتباع مان ومذهبه من الصابئة وهو رجل اسمه مان ودينه نصفه نصراني ونصفه وثني ، وأهل هذا المذهب فارقوا اليهودية والنصرانية ولهجتهم ليست عربية وإنما هي آرامية خالصة

وأما اللغة السريانية فهي لغة مدينة رها وتسمى الآن أورفا واسمها بالسريانية أورها وتسمى عند اليونان والرومان Edessa أذسا ، وهي في القسم الشمالي من الجزيرة بين النهرين دجلة والفرات ، وكانت في الرها دولة مستقلة ومولوكها أصلهم من العرب ويعرف ذلك من أسماهم معن وأبجر ، وكان قد دخلها طوائف من العرب ولكن لغتهم بادت وقبلوا اللهجة الأرامية لقلتهم ، ودخلت النصرانية فيها في القرن الثاني بعد الميلاد وتغير اسم آرام وآراميين وكرهه

اليهود والنصارى وضاروا يلقبون الوثنيين بهذا الاسم وسعوا أنفسهم سريانياً ،
وقد أخذ هذا الاسم من اليونان وسعوا لغتهم سريانية ، ودخل في هذه اللغة
كثير من اليونانية ، وتغير ترتيب الكلمات والجلل بحسب قواعد اللغة اليونانية
مراراً عديدة ، وكتبت بهذه اللغة كتب عديدة من القرن الثالث الى القرن
السابع بعد الميلاد وأكثرها كتب دينية ، ثم تفرقت لغة الكتابة من اللغة
العامة ، فاحتاج السريان الى علم النحو والى الشكل لكي يتمكنوا من قراءة
الكتاب المقدس فى الصلاة دون غلط ، وانقسمت آراؤهم الى قسمين نسطورى
وهو مذهب الشرقيين منهم التابعين للفرس ، ويعقوبى وهو مذهب الغربيين
التابعين للرومان ، ووضع السريان المعاجم بلغتهم واللغة العربية . وقد نقل
السريان كثيراً من علوم اليونان وفلسفتهم الى لغتهم ، وظهر منهم كثير من
العلماء والحكام الى زمن النهضة العربية الاسلامية فى دولة بنى العباس ، فكانوا
رسل تلك النهضة وأهم عوامليها ، ولمعرفتهم باللغة اليونانية أخذوا ينقلون علم يونان
وحكمتها الى العربية تحت كنف خلفاء الاسلام ، وأخذت اللغة العربية تتغلب على
جميع اللهجات الآرامية حتى حلت محلها ، وبادت تلك اللغات جميعها ولم يبق
للسريانية استعمال الا فى الطقوس الدينية ، ونبع من علماء السريان كثيرون فى
اللغات الثلاثة السريانية والاغريقية والعربية فنقلوا الكتب وألفوا المعاجم ، فمن
هؤلاء المترجمين والنقلة اصطفى القديم ، نقل خالد بن يزيد بن معاوية كتب
الصنعة ، والبطريق وقد نقل المنصور ، وابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق ، والحجاج
بن مطر وهو الذى نقل المجسطى وأقليدس فى أيام المأمون ، وثاوفيلوس بن توما ناقل
اللياذة والا وديسة الى السريانية وهو من القرن الثانى من الهجرة والثامن للميلاد ،
وأيوب الرهاوى ، وابن شهيدى السكرخى ناقل كتاب الأجنة لبقرط ، وأبو عمرو
يوحنا بن يوسف ناقل كتاب أفلاطون فى آداب الصبيان ، وقسطا بن لوقا البعلبكي
وله معرفة تامة باللسان اليونانى والسريانى والعربى وله نقول كثيرة وأصلح نقولا
كثيرة ، وحنين بن اسحاق العبادى النسطورى من القرن الثالث للهجرة وقد
أنب معجماً فى اللتين السريانية والعربية وهو مفقود ، ويشوع بار على ، وبار بهلول

وظلوا يهتجون في المعتنقين همل من أشهر معاجم هاته الغاصق محمد القنبري ، ويحيى بن عدي ، ثم بارعبرايا وهو أبو الفرج بن العبري ، وكان يهوديا ثم تنصر وصار أسقفاً وهو من القرن السادس للهجرة والثالث عشر للميلاد وله مصنفات ونقول بين تاريخية وفلسفية وطبية ورياضية وفلكية ، وينتهي تاريخ الادب السرياني ببارعبرايا

١٣ — باب في السبب الداعي الى نقل فلسفة اليونان وعلومها

الى اللغة السريانية قبل النهضة العربية

كانت يونان أمة عظيمة القدر في الأمم ، ظاهرة الذكر في الآفاق ، نخمة الملوك عند جميع الأقاليم ، وكانت الفلسفة زاهية زاهرة في بلاد اليونان القديمة ، وفلاسفتهم من أرفع الناس طبقة ، وأجل أهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والالهية والسياسات المنزلية والمدنية (١) ، وكان فلاسفة اليونان فرقا كثيرة اشتقت اسماءها اما من اسم الرجل المعلم للفلسفة ، أو من اسم البلد الذي كان مبدأ ذلك العلم ، أو من اسم الموضع الذي كان يعلم فيه ، أو من اسم التدبير الذي كان يدبر فيه ، أو من اسم الآراء التي كان يراها أهلها في الغاية التي يقصد اليها في تعلم الفلسفة ، أو من الافعال التي كانت تظهر عليه في تعليم الفلسفة ، فنبتت من ذلك شيع أو فرق في يونان ومدنها الاثنتي عشرة مدينة (على الساحل الغربي للاناضول من فوق (Phocée) الى ملاطية (Milet) واليها ينسب ثاليس (Thales) وأنكسيمانس (Anaximène) وأنكسيمانوراس (Anaxagores) وأرخيلاوس (Archélaüs) وفرقة فوثاغورس (Pythagore) وفرقة أرسطيفوس (Aristippe) من أهل قورانا (Cyrène) وشيعة سقراط وفرقة أصحاب المظلة أو أصحاب الرواق (Portique ، Stoicienne) أو أصحاب

(١) طبقات الامم

الاستطوان ، و فرقة الكلابية (Cynique) (هم أصحاب كروسيغوس (Chrysippe) وأصحاب ديوجانس (Diogène) و فرقة المتشككة أو المانعة (Sceptique) وهم أصحاب فورن (Pyrrhon) ، و فرقة اللذة (Le plaisir) وهم أصحاب أفيقورس و فرقة المشائين (Péripateticiens) وهم أصحاب أرسطو ، وأفلاطون صاحب الافلاطونية (Platonisme) ومنهم أيضاً الدهريون (Atomistiques) والطبيعيون (Naturalistes) والسوفسطائيون (Sophistique) والبرهانيون (Logique) والقياسيون (Dialectique) والالهيون (Métaphysique) الخ وقد اختصر بعض علماء الاسلام هذه الشيع في ثلاث فرق فقالوا دهريون وطبيعيون والهيون فأما الدهريون (Atomistique) فهم فرقة قدماء جحدوا الصانع المدبر للعالم وقالوا بزعمهم ان العالم لم يزل موجوداً على ما هو عليه بنفسه ، لم يكن له صانع صنعه ولا مختار اختاره ، وأن الحركة الدورية لا أول لها ، وان الانسان من نطفة ، والنطفة من انسان ، والنبت من حبة ، والحبة من نبت ، فهم يقولون ببقاء المادة وعدم فناؤها وانها سابحة في الفضاء بتركيبها تتكون جميع الاشياء الموجودة في العالم والفرقة الثانية الطبيعيون ، وهم قوم بحثوا عن أفعال الطبائع وانفعالها وما صدر عن تفاعلها من الموجودات حيوان ونبات ، وخصوا عن خواص النبات وتشريح الحيوانات وتركيب الأعضاء وما ينتج عن اجتماعها وتركيبها من القوى ورأوا قوام الموجودات من الأصول التي جعلوها مبادئ ، وهي الاركان الاربعة الماء والهواء والتراب والنار ، ورأوا فساد كثيرها عند انتهائها الى غايته التي اقتضتها قوة استمداده من الطبائع المتفاعلة ، وكموا بان الانسان كسائر الموجودات ، وأنه يقيم بقدر استمداده ، ثم يتحلل ويفنى وينذهب كغيره من الموجودات الكائنة لكونه ،

والفرقة الثالثة الالهيون ، وهم المتأخرون من حكماء يونان الذين مالوا عن الفلسفة الطبيعية الى الفلسفة الالهية أو المدنية أو فلسفة ما بعد الطبيعة ، واليهما كان يذهب ارسطو طاليس وابن أخيه تاو فرسطس وثامسطيوس وفلو طرخس وذيقرطس

وقد أحدثوا من الآراء خلافاً على من تقدمهم ، وحاجة الناس وقتئذ الى
 «الاجتماعات الانسانية» ، وأولها الاجتماع المدني الذي يكون في المدينة الفاضلة
 (la république idéale) ومراتب أجزائها ورياستها ، ونزول أعضائها منزلة
 أعضاء الحيوان من الحيوان من جهة التعاون على تكميل السعادة للانسان ، كما
 يتعاون أعضاء الحيوان على تكميل حياة الحيوان ، وأصناف المدن المضادة للمدينة
 الفاضلة كالمدينة الجاهلة والمدينة الضالة والمدينة الفاسقة ومراتب ملوكهم ورياستهم ،
 ثم قول هؤلاء الفلاسفة في الأوائل Des premières principes et
 des premières causes التي بها وجود سائر الموجودات ، وهي الاول
 أكلهما وجوداً اذ لم يكن وجوده لأجل غيره ، ووجود كل ما سواه لاجله
 (Théologie naturelle ou théodicée.) والاشياء منه لا هو منها
 اقتبست وجودها من وجوده ، وقولهم في العقل الفعال والنفس والصورة والهيولى
 (Psychologie rationnelle) وباقي الموجودات ، والاجسام بأجناسها ،
 وهي الحيوان والنبات والاجسام المعدنية ، Cosmologie ou philosophie
 de la nature وكلامهم في الاستقصات وهي العناصر

استمر الحال على هذا المنوال في يونان وانتقلت منها بعض هذه المذاهب الى
 مصر ، الى أن أحاطت بيونان الكوارث وحاقت بها الاحن ، وأهملت الفلسفة
 ودرست كتبها وقتل أغسطس (Julius Cæsar Octavius Augustus)
 الملك الروماني (ولد سنة ٦٣ ق م) قلا وفطرة الملكة آخر ملوك البطالمة اليونانيين
 وازافة مملكتهم الى مملكته ، فانقرض ملك اليونان من الارض ، وانتظمت مملكتهم
 مع مملكة الروم ، فصارتا مملكة واحدة رومية عظيمة الشأن ، وصارت مدينة
 رومية قاعدة هاتين المملكتين ، ثم نقل مجالس التعليم من أثينة الى الاسكندرية
 ورومية ، ولأثنتين وأربعين سنة خلت من حكمه كان مولد المسيح عليه السلام
 ببית لحم من بلاد فلسطين

وكان اليونان (١) والروم قديماً صابئة ، وكانت أول بلد أظهر فيه دين

(١) التنبيه والاشراف

النصرانية مدينة انطاكية ، والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وأم المدن ، وبها كرسى بطرس ويسمى شمعون وسمعان خليفة أيسوع الناصري ، ثم دخل شمعون الضيا مدينة رومية وسقف بها وديرها سنين ، ودانت له امرأة الملك فروطانيق ، وهى التى أخرجت الخشبة التى تظن النصارى أن المسيح صلب عليها ، وكانت فى أيدي اليهود فى أورشليم فأخذتها منهم وردتها على النصارى وفى حكم يبرون قتل بطرس وبولس برومية وصلبا منكسين وذلك بعد المسيح باثنتين وعشرين سنة

وما زال اليهود والنصارى فى اضطهاد وتقتيل وأذى وتشريد من ملوك الروم فى فلسطين وغيرها ثم ردّ للتمثيل التى جعلها الصابئون مثلاً للجواهر العلوية والاجسام السمائية التى هى وسائط بين العلة الاولى عندهم وبين الخليفة فى العبادات الى أن دان قسطنطين بن قسطنس (المولود سنة ٢٧٤ ب م) ، ويعرف بأمه هيلانى ، باني القسطنطينية بدين النصرانية ، ودعا الروم الى التشريع به ، فأطاعوه وتنصروا عن آخرهم ، ورفضوا دينهم من تعظيم الهياكل وعبادة الأوثان ، ولم يزل دين النصرانية يظهر ويقوى الى أن دخل فيه أكثر الامم المجاورة لمملكة الروم وجميع أهل مصر وأهل الحبشة والنوبة

وبعد أن بنى القسطنطينية وبالغ فى تحصينها واحكام بنائها جعلها دار مملكته وأضيفت الى اسمه ، ونزلها ملوك الروم بعده ، وما زالوا بها حتى افتتحها المسلمون فى جميع هذه الأطوار حصل تغيير كبير فى الفلسفة ، وتنوعت مذاهبها ، وانحرفت وجهتها عن الجهة التى كانت عليها فى عهد الالهين ، فان فلاسفة الاسكندرية وغيرها من البلاد المجاورة أرادوا مزج فلسفة أفلاطون ببعض المذاهب التصوفية التى نتجت من انتشار النصرانية ، وهذا الاتحاد بين الفلسفة والتصوف هو المعبر عنه بالفلسفة الافلاطونية الحديثة Neoplatonisme ، ورأس هؤلاء الفلاسفة الذين عملوا على هذا الاتحاد أمونيوس الاسكندري Ammonius (المتوفى سنة ٢٤١ ب . م) ، فانه أراد فى أول الامر التوفيق بين فلسفة أفلاطون

وفلسفة أرسطو طاليس، ثم أدخل على تلك الفلسفة بعض المذاهب الدينية الناتجة عن النصرانية، والغرض منها اتحاد النفس البشرية بالعالم العلوى وهو ما يسمى التوحيد، ثم تبعه في ذلك كثير من الفلاسفة مثل أرجانيس وفرفوريوس Porphyre صاحب كتاب ايساغوجى أى المدخل الى علم الفلسفة وأمليخوس Jamblique وفركلس Proclus وغيرهم، ثم تدرجوا من ذلك الى أن دخلوا فى تنازع شديد مع المسيحية فى الوجود ووحدية الوجود والعلة الاولى والنفس والكلمة واتحاد النفس البشرية بالعالم العلوى، (Union hypostatique) وزادت المجادلات التى هزت المسيحية فى طبيعة المسيح البشرية والالهية وجسد المسيح والكلمة logos ونشأ من هذا الخلاف فى رأى عدة فرق انقسمت بسببها الكنيسة المسيحية على نفسها بعد أن كانت واحدة، وصارت كل فرقة تطعن فى الاخرى وترميها بالمروق من الدين والخروج عليه، وتعتقد لذلك الجامع الكنائسية المسماة السنودسات (Synode) للحكم على أصحاب المذاهب وطردهم من الكنيسة وحرهم

والسنودس (١) هو اجتماع علماء النصارى من القسوس والأساقفة وغيرهم من أصحاب المراتب المذكورة لدعاء على شأن حادث وسبب شبه المباهلة، أو نظراً فى شىء مهم من أمر الأديان، ولا يعتقد هذا الا فى أزمنة، وإذا اتفق حفظ تاريخه، وربما استعمل تبركاً وتعبداً،

والمذاهب والفرق التى نبتت فى النصرانية عديدة نذكر أشهرها بالابحاز وهى المرقيونية والديصانية والمناوية والأريوسية والمقدونية والنسطورية والملكانية واليعقوبية والمارونية الخ

أما المرقيونية فهم ينسبون الى مرقيون وكان ابناً لبعض الأساقفة ببلاد حران، ولد فى سينوب من أعمال فنتس، وقد أظهر مرقيون مقالته فى سنة ٨٠ ب م وهى القول بالأثنين أى بوجود أصليين قديمين متضادين أحدهما الخير والآخر الشر وثالث بينهما هو السعد، وقالوا الاثنان أحدهما النور والآخر

(١) البيرونى الاثنا عشر الباقية من القرون الحالية

الظلمة وأثبتوا أصلاً ثالثاً هو المعدل الجامع ، وقالوا انما أثبتنا المعدل لان النور الذي هو الله تعالى لا يجوز عليه مخالطة الشيطان ، وأيضاً فان الضدين يتنافران طبعاً ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يكون اجتماعهما وامتزاجهما ، فلا بد من وجود معدل تكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج منه وهذا المذهب قريب من المانوية

وأما الديصانية فينسبون الى أبرديصان لانه ولد على نهر يقال له ديصان فوق مدينة الرُّها ومعناه ابن النهر وهو من أصحاب الاثنين ، ظهر في أواخر القرن الثاني وكان أسقفاً للرُّها ، وأصحاب ديصان أثبتوا أصلين نوراً وظلاماً ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراباً ، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شر وخير وفتن وقبح فمن الظلام

وأما المانوية فينسبون الى ماني بن فاتك من أصحاب الاثنين وقد ظهر في الدولة الساسانية في ملك سابور بن أردشير ، ولد في بابل في قرية بردينو التابعة لدولة الفرس في سنة ٢٣٩ أو ٢٤٠ م ، وأتى المدائن وتعلم فيها وهو تلميذ فاذن Phédon الذي هو تلميذ سقراط ، وماني هذا اسمه مناحم بالعبرية وادعى أنه الفارقليط Paraclet الذي بشر به المسيح وأنه خاتم النبيين وقد ذكر ذلك في كتبه ، كانجيلة الذي وضعه والشابورقان الذي ألفه لشابور بن أردشير وكنز الاحياء وسفر الجبارة وسفر الأسفار ، وقد حدث بينه وبين سائر أصحاب الاثنين ممن تقدموه وهم المرقيونية والديصانية حجاج ونزاع ، وقد قتله بهرام بن هرمز ، وكان مذهب ماني وسطاً بين المجوسية والنصرانية يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى ، ويقول ان العالم مصنوع من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، أنكر وجود شيء لا من أصل قديم وزعم أنهما لا يزالا قوتين حاستين سميعتين ، بصيرتين وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادتان

وأما الأريوسية فينسبون الى أريوس من الملاحدة، ولد سنة ٢٧٠ ب م وقُر وهو متقدم في السن ونشر مذهبه في الاسكندرية ، وكان في زمن قسطنطين باني القسطنطينية وأول من تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب أريوس ، ولعشرين سنة خلت من حكمه كان السنودس الأول بمدينة نيقية Nicée من بلاد الروم سنة ٣٢٥ م ، حضر هذا المجمع ٣١٨ أسقفًا ، فخرموا أريوس الاسكندراني لمخالفته لهم في الأقانيم وتخليدهم ما كانوا أجمعوا عليه من القول في اقنومي الأب والابن ومن قولهم التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والارض ، قال البيروني ورائهم في المسيح أقرب الى ماعمله أهل الاسلام وأبعد مما يقول به كافة النصارى وفرق أخرى كثيرة

أما المقدونية فتنسب الى مقدونس بطريرك القسطنطينية ، من سنة ٣٤٢ الى سنة ٣٦٠ ، ومقدونس هذا يلقب بعدد الروح (Pneumatique) لمخالفة الجماعة في صفة روح القدس وتخليدهم القول في هذا الاقنوم ، فانعقد لذلك السنودس الثاني ، اجتمع فيه ١٥٠ أسقفًا بقسطنطينية على يدى تذكوس الثاني بن أرقاد يوس فلمعنوا مقدونس وأشياعه

وأما المالكائية (Melchites ou imperialistes) فهم الروم ، وانما سموا بذلك لان ملك الروم على قولهم ، وليس بالروم سواهم ، وهم الذين يتبعون القوانين الكنائسية التي أصدرها السنودس الرابع بمدينة خلقدونية سنة ٤٥١ ب م المجتمع بناء على أمر الامبراطور مرقيان Marcien اجتمع فيه ٣٦٠ أسقفًا ، وفي هذا المجتمع خالف المالكائية النسطوريين وذيئسقورس وأطوخس Eutyches من زعماء اليعقوبية في الأقانيم والجوهر ، فيقولون ان الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء أب وابن وروح قدس كلها لم تزل وأن عيسى عليه السلام اله تام كله ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الانسان منه هو الذي صلب وقتل ، وأن الآله منه

لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الآله والانسان ، وأنهما معاً شيء واحد
ابن الله

وأما النسطورية فهم أصحاب نسطور ، ولد في سوريا وعينه تدوس الصغير
(Thiodose le jeune) بطريكاً على القسطنطينية في سنة ٤٢٨ ، وكان على
كرسيها أربع سنين وهو المبتدع بدعة وجود طبيعتين وشخصين للمسيح ،
فحصل خلاف شديد في الآراء بين رجال الكنيسة انبنى عليه أن خلعه
السنوذكس السادس المنعقد بمدينة افسيس Ephése سنة ٤٧١ وحضر هذا المجمع
مئتا أسقف ، وكان المقدم فيه قورلس Cyrillus بطريك اسكندرية
وكسطينوس Celestin بطريك رومة (من سنة ٤٢٢ الى سنة ٤٣٢)
ويو بنالس Juvenalis بطريك ايليا (أورشليم) فلعنوا نسطورس وتبرأوا منه
ونفوه ، فسار الى صعيد مصر ، فأقام ببلاد اخيم والبلينا ومات بقرية بصحراء
ليبوى ، وأحرقت كتبه ، وأضافت الملكائية العباد من النصرارى وهم
المشاركة الى نسطورس تقريراً لهم بذلك فسموا نسطورية ، وكانت رئاسة البطرقة
المشاركة في ذلك الوقت لدار يشوع في المدائن من ملك فارس ، والنسطورية
تقول كما قالت الملكائية في الثالث ، وهو الكلام في الأقاليم الثلاثة والجوهر
الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث ، وأن للمسيح طبيعتين
بشرية عند ولادته والهيبة حين نفخ فيه كلمة الله وروحه ، وقالوا ان مريم لم
تلد الآله وإنما ولدت الانسان ، وان الله تعالى لم يلد الانسان وإنما ولد الآله
وقالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما
قالت الملكائية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق
الشمس في كوة أو على بلور ، أو كظهور النقش في الخاتم ، وللنسطورية آراء
أخرى تضرب صفحاً عن ذكرها حتى لا نخرج عما توخينا من الإيجاز

وأما اليعقوبية أو اليعاقبة فانهم ينسبون الى يعقوب البرذعانى أو البراذعى
كان من أهل سروج يعمل البراذع ، وهو تلميذ سورس البطريك Séveres

واليعاقبة يقولون ان المسيح طبيعة واحدة (Fusionistes ou Monophysites) وان الباري تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس ، الا أنهم قالوا انقلبَت الكلمة لحما ودماً فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو

ومن المذاهب أيضاً المارونية ينسبون الى مارون الراهب ، كانت نشأته بقرب حماه بقرية يقال لها قور ، وقس في سنة ٤٠٥ م ومات سنة ٤٣٣ ب م ومذهبه موافق للملكائية واليعقوبية والنسطورية في الثالث ومخالف اياهم فيما يذهب اليه من أن المسيح جوهران اقنوم واحد ومشئنة واحدة ، وهذا القول متوسطاً بين قول النسطورية والملكائية . ومن المذاهب مذهب البيالقة وهو المذهب الذي أحدثه بولس الشمشاطي (Paul de Samosate) وهو من أول بطاركة انطاكية ، ومذهبه متوسط بين مذهب النصارى والمجوس

وقد ترتب على ظهور هذه المذاهب الدينية الفلسفية مشاحنات ومجادلات دينية ونزاع بين رجال الكنيسة محوره جسد المسيح وطبيعته البشرية والالهية ، ونفس المسيح ، والكلمة ، فتفرقت المدارس وانقسمت الكنيسة واختلفت الشيعتان النسطورية واليعقوبية اختلافاً ظاهراً في اللغة والكتابة ، فأُسست مدرسة في نصيبين في جوكه سرياني الجنس واللغة وتحت نفوذ الفرس ، وفي انطاكية وفي الرها مدارس أخرى في منطقة النفوذ اليوناني المباشر ، وقد عظم اضطهاد الكنيسة الرسمية في المملكة البوزنطية للكنيسة السريانية الوطنية وللسريانيين عامة ، وكان معظمه واقعاً على السريان الغربيين الذين هم تحت سلطة الروم رأساً في المملكة البوزنطية ، وهؤلاء قد اتخذوا مذهب اليعقوبية في مصر وفي غربي سوريا ، فتحملوا الضيق ولبثوا في بلادهم ولم يهاجروا منها رغماً عن كونهم كانوا مكروهين فارسوا رسلهم خارج المملكة ، ونبذوا لغة مضطهديهم واستعملوا لغتهم القبطية أو السريانية على الخصوص ، وأما السريان الذين هم في سلطة الفرس فكانوا بعيدين عن الاضطهاد وهاجر اليهم من هاجر من الموجودين في سلطة المملكة البوزنطية ، وحلوا في نصيبين في عهد فيروز شاه

فاكرم مشواهم وأخلصوا له الوفاء وانتسبوا الى النسطورية وصارت نصيبين مركزاً لنشاطهم ، وبذلك أخذت المسيحية شكلاً شرقياً بحتاً ، وانتشر المبشرون النسطوريون يبشرون تعاليمهم في كل مكان حتى كانت أكثر الامم البعيدة عن مملكة الروم يتعلمون المسيحية بالشكل النسطوري ، ولم يكن هم السريان حينئذ تعلم المسيحية فقط بل كانت همهم متجهة كذلك الى شرح المسائل الخاصة بالمسيح عليه السلام وشخصه والاقانيم ، فكان لا يمكنهم ذلك طبعاً بغير مساعدة العلم النظري والفلسفة اليونانية فلسفة أرسطو وأفلاطون ، ولا سيما منطق أرسطو الذي هو الأداة الثمينة للجدل والمناظرة ، فتحتم على كل مبشر منهم أن يكون ذا علم والملم بفلسفة يونان ، وغرضهم الا كبر ايجاد لاهوت وطني سرياني مستقل عن اللغة الأنثريقية ، فبدأوا أولاً بنقل الكتب الدينية الكنائسية الى السرياني ، لان جميع الطقوس الدينية الكنائسية كانت تؤدي في الصلاة وغيرها باللغة اليونانية ولما كانوا يريدون محاربة الكنيسة اليونانية والابتعاد عنها بكل وسيلة فقد نقلوا الى لغتهم السريانية كتب العلم اليوناني ككتب أرسطو وشروحها وغيرها من كتب الفلسفة والرياضيات ، فانتقلت بهذا العمل العظيم علوم يونان الى آسيا ، وكان هذا أول نقل للعلم من الغرب الى الشرق ، وكان ذلك في الزمن السابق مباشرة على ظهور الاسلام وهؤلاء السريان أنفسهم الذين نقلوا علم يونان الى السريانية كانوا هم البادئين كذلك بنقل هذه العلوم الى العربية اما من السريانية الى العربية أو من اليونانية رأساً الى العربية ، وذلك في بدء النهضة العربية ، ولم يقتصر نقل هؤلاء الفلاسفة على الفلسفة واللاهوت بل تعداهما الى الطب والكيمياء والفلك ، وكانت علوم الطب والعلوم الطبيعية قد نقلت الى مدرسة الاسكندرية التي كان من أكبر أساتذتها يحيى النحوى وفولاس الأجنبي *Paul d'Egine* وأهرون القس ، واختير من كتب الطب للتدريس الستة عشر كتاباً لجالينوس ، وكلها معلقة بعضها ببعض وهي التي شرط جالينوس على طالب الطب حفظها والاحتفال بها ، ولا

نذكرها هنا خشية التطويل ، وكانت مؤلفات هؤلاء العلماء وغيرهم اما باليونانية أو بالسريانية ثم نقلت الى العربية في صدر الملة الاسلامية وبدء النهضة ، وكان اليعقوبيون في مصر قد نقلوا القليل منها الى القبطية لان حاجتهم الى مناظرة خصومهم كانت أقل منها عند النسطورية في سوريا

مدارس التعليم عند السريان

يعلم مما تقدم أن مدارس الرها ونصيبين وانطاكية كانت من اكبر عوامل النهضة عند السريان ، ومدرسة نصيبين أقدم مدرسة فارسية وأشهر من جميع المدارس العلمية في سوريا نشأت من مدرسة الرها وحلت محلها نوعاً ما وامتدت شهرتها الى أفريقية وإيطاليا حتى لقبها أهل سوريا أم العلوم

ففي هاته المدارس تخرج كثير من علماء السريان وفلاسفتهم وفيها ألقت الكتب وبعضها لا يزال محفوظاً الى الآن ، وترجمت منابع العلم اليوناني من دين وفلسفة الى اللغة السريانية ، ونزید علیها مدرسة سلوقية التي أصلها مارأبا بعد وفاة الجاثليق بولس سنة ٥٣٦ وكان مارأبا يعلم فيها بنفسه فألف وترجم كتباً عديدة من اليونانية الى السريانية ، منها ترجمة كاملة للعهد القديم والجديد أتمها في الرها مع معلمه توما ، وشروح لسفر التكوين والمزامير ورسائل الرسول مار بطرس وميامر وتكريسات كنسية وغيرها ، ثم مدرسة جندیسابور والسبب في تأسيسها هو أن سابور بن أردشير السابع لمذهب ذرادشت كان قد هادن أولاريانوس Valérianus قيصر ملك الروم بعد تغلبه على بلد سوريا وافتتاحه انطاكية ، فطالب منه أن يزوجه ابنته على شيء تراضياً به ففعل قيصر ذلك . وقبل أن تنقل اليه بنى لها مدينة على شكل قسطنطينية وهي مدينة جندیسابور وقيلت حكايات كثيرة في سبب هذه التسمية . ولما نقل اليها ابنة قيصر انتقل معها كل صنف من أهل بلدها ممن هي محتاجة اليه ، فانتقل معها أطباء أفاضل ولما أقاموا بها بدأوا يعلمون أحياناً من أهلها . ولم يزل أمرهم يقوى في العلم ويتزايدون فيه ويرقبون العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برزوا في الفضائل . وجماعة

يفضلون علاجهم وطريقهم على اليونانيين والهند . لانهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قبل نفوسهم . فرتَّبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعوا فيها كل حسنة . ونبع من مدرسة جنديسابور هذه عدا الحارث بن كلَّده وابنه النضر بن الحارث بن كلَّده من أطباء العرب أكابر علماء السريان الذين كان لهم القدح المعلى في النقل والترجمة والتصنيف الى اللغة السريانية ، وكانوا في نفس الوقت واسطة النقل الى العربية . وكذلك حرَّان كانت من مدن العلم الأثيلة المجد لعلماء السريان ومنبعاً غزيراً لفلاسفتهم ، كانت على طريق الموصل والشام بينها وبين الرُّها يوم وبين الرِّقة يومان ، وكانت قصبة ديار مُضَرَّ واليها ينسب جماعة كبيرة من أعلام السريان الذين كانت لهم اليد الطولى في النقل والتصنيف بالسريانية . ولا يسعنا أن نعيد هنا ذكر أسماء المترجمين الذين خدموا العلم ونقلوه من الغرب الى الشرق من حكماء السريان الذين استمروا في عملهم هذا الى ما بعد ظهور الدول الاسلامية التي التحقوا بخدمتها . وكان آخر العهد بالوضع في السريانية ابو الفرج بن العبري (بَارْعَبْرَايا) المتوفى سنة ١٢٨٦ م وبه انتهت دولة العلم في السريان الا ما ندر من علمائهم القليلين المتفرقين في العصور بعد ذلك الى الآن

١٤ — باب في اللغات السامية الجنوبية

وأما اللغات السامية الجنوبية فتقسم الى قسمين عظيمين العربي والحبشي أما العربي فينقسم الى قسمين شمالي وجنوبي فالشمالي يشمل خمس لهجات وهي — ١ اللحيانية — ٢ الثمودية — ٣ الصَّفَوِيَّة — ٤ العربية النبطية — ٥ العربية الفصحى

وأما العربي الجنوبي فيشمل — ١ المَعِينِيَّة — ٢ السَّبَايَّة — ٣ القَتَبَانِيَّة — ٤ الحَضْرَمِيَّة — ٥ اللهجات الجديدة وهي المَهْرِيَّة لغة مَهْرَة والشَّحْرِيَّة لغة الشَّحْر والسَّقَطْرِيَّة لغة جزيرة سَقَطْرَى

فأما اللهجات اللحيانية والشمودية والصفوية فيتناسب بعضها مع بعض، وأما العربي النبطي فهو كالعربي الفصيح، وقد وجدت بعض الكتابات اللحيانية في مدينة العُلا في شمال الحجاز قريبة من الحجر وفيها أسماء ملوك لحيان، ومملكة لحيان كانت في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد أي قبل استيلاء النبط عليها،

أما الشمودية فسميت بذلك لان قبائل ثمود كانت تسكن تلك الجهات ووجد شيء من كتاباتها في مدائن صالح، وصالح هو النبي المرسل الى ثمود وتاريخها في القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد

أما الصفوية فسميت بذلك لوجود الكتابات المكتوبة بها في الحرّة ما بين جبل الدروز وتل الصفاة، فاعتاد العلماء المستشرقون تسميتها بذلك (١) ولو سميت بالحرية لالتبس الاسم لوجود حرّات كثيرة في جزيرة العرب وفي الشام، وأكثر كتاباتها من القرون الأولى والثاني والثالث بعد الميلاد. واللهجة المستعملة في هذه الكتابات هي لهجة عربية مع بعض الاختلاف في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة وأداة التعريف، وبعض كلماتها تناسب العبرية والآرامية أكثر مما تناسب العربية لمجاورة أهل الصفاة للساميين الشماليين

وقد باد الخط الصفوي قبل الاسلام واستعمل مكانه الخط النبطي المتأخر القريب من الخط الكوفي، والخط النبطي هذا هو خط الحضر كما كان الصفوي خط العرب البدو، والكتابات العربية الفصيحة التي كتبت بحروف نبطية متأخرة أو حروف تشبه الخط الكوفي هي كتابات النمارة المشهور وزيد وهي خربة موجودة بين قنسرين ونهر الفرات ويوصل اليهما من حلب في اثنتي عشرة ساعة، وكتابة حرّان، وأم الجبال، وأشهرها كتابة امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كتبت سنة ٣٢٨ بعد الميلاد، والنمارة هذه قصر صغير من آثار الدولة الرومانية موجود في حرّة الشام شرقي جبل الدروز ويختلط بها بعض الكلمات الآرامية

(١) أنوليمان

واللغة النبطية تأتي بعد اللهجة العربية الفصحى ويأتي بعدها الآرامية فلما ظهر الاسلام أخذت اللغة العربية الفصحى وهي لغة أواسط بلاد العرب (الحجاز ونجد) أي قبائل قريش وما جاورها في التفوق والحلول محل باقي اللغات وعمّ الاقطار لغة العرب وكتابتهم متماشيين مع الدين أينما سار، وصارت العربية لغة نصف المعمور من الدنيا، وهي أي اللغة الفصحى لغة الشعر والقرآن لغة الأحاديث والسنة، لغة الفقه والشرع، لغة التأليف والتصنيف في القرون الاولى للهجرة، يتكلم ويكتب بها بدهاءة حتى كثر اختلاط العرب بالأعجم فابتدأ الفساد في ملكة اللسان و التحريف يفشيان في اللغة وهال القائمين هذا الأمر خوفا على القرآن والدين فوضعوا علم النحو، وأخذ العلماء يتبارون في وضع أصول هذا الفن وقواعده والاسترشاد بفصحاء الاعراب ووفود البادية الذين لم يخالطوا غيرهم من الأمم في صحة الكلام والنطق به حتى تم لهم ضبط هذه اللغة وبناءها على أساس متين، فلم تخدم لغة أخرى بمثل ماخدمت به اللغة العربية، وسيأتي شرح ذلك في فصل خاص

١٥ — باب في اللغة العامية أو الدارجة

لما فسدت ملكة اللغة ووقع التحريف في الكلام، وباد الإعراب ودخل في اللغة كثير من الألفاظ الأعجمية، نشأ من ذلك مايسمى باللغة العامية أي الدارجة، وتعددت هذه اللغة بتعدد البلدان والأقاليم وقربت أو بعدت عن اللهجة الفصحى بقربها أو بعدها عن جزيرة العرب أو بقلة أو كثرة اختلاطها بالأمم الأخرى، فاليمن مثلاً وبعض أقاليم جزيرة العرب لاتزال لهجتهم أقرب الى الفصحى من لهجة مصر أو الشام اليها، ولهجة بعض عرب السودان قريبة كذلك من الفصحى، حتى أن البلد أو المصر الواحد قد تختلف لهجته باختلاف القبائل التي نزلت به وعمت فيه لهجتها كبلاد المصرية مثلاً فلهجة صعيدها غير لهجة سفلى بلادها، ولهجة شرق مصر السفلى غير لهجة غربها، وهذا الاختلاف هو أثر من آثار القبائل المختلفة التي حلت بلاد مصر نازحة اليها من بلاد العرب

وبالجملة فانهم يقسمون اللهجات العربية العصرية الى — ١ لهجة جزيرة العرب —
٢ لهجة العراق والجزيرة — ٣ لهجة بلاد الشام — ٤ لهجة مصر — ٥ لهجة بلاد
المغرب — ٦ لهجة جزيرة مالطة وقد دخلها كثير من لغات أوروبا لاسيا الطليانية
واللغة العربية والخط العربي معروفان عند جميع الأمم التي تدين بالاسلام
وليست اللغة العربية هي لغتها الأصلية ، وفيها العلماء والفقهاء العارفين بها تمام
المعرفة ، وكذلك تكتب بالخط العربي لغات تلك الأمم التي دانت للاسلام وهي
أمم الفرس والترك والأفغان وبعض الهند والملايو والصين (التركستان الصينية)
وروسيا الشرقية ، واللغة العربية عامة الآن في آسيا الغربية ، وفي شمال افريقيا
ووسطها من الشرق الى الغرب

١٦ — باب في القول في العربي الجنوبي

اما العربي الجنوبي وهو لغة اليمن فمن لهجاته — ١ المعينية — ٢ السبائية
٣ القتبائية — ٤ الحضرمية — ، ثم اللهجات الجديدة وهي لغة مهرة والشحر
وهذه اللهجات هي لغة حمير وسبأ لسان القحطانيين وقبائلهم عاد وثمود وطهم
وجديس والعاملة ، واليمن سميت كذلك لوقوعها الى جنوب الكعبة ، كما
سميت الشام شأما لوقوعها شمالها ، اما اشتقاق اسم اليمن من اليمن وهو
السعادة فشكوك فيه وهو ماضنه أهل أوروبا الأقدمين فسوها بلاد العرب
السعيدة (Arabia felix) وهي كثيرة الزرع والأشجار والثمار والعطور
والأفوية ، وكانت غاية في العمران ، عامرة بالمدن والخواضر ، ومن ممالكها
المعروفة مملكة معين وقصبتها معين ، وسبأ وقصبتها مأرب ، وممالك قتبان
وحضر موت ، وأقدمها مملكة معين وبدؤها في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ،
ويليها مملكة سبأ ، ثم انتقل الملك منهما الى حمير وقصبتها ظفار ، وكتابات أهل
اليمن يطلق عليها لفظ حِميرية وان اختلفت المعينية والسبائية عنها قليلا ، وفي
قرايتها صعوبات كبرى ، والحميري يسمى المُسند وهو أحدث الخطوط اليمنية ،

واختلف في اشتقاقه ، فبعضهم جعله من الفينيقي مباشرة أو بواسطة الاحرف اليونانية ، وبعضهم جعله من المساري وهو بعيد ،

وأما الكتابات القتبانية والحضرية فهي قليلة جداً وهي أجد الكتابات ، واستمرت هذه الكتابات من أقدم تاريخها الى القرن السادس بعد المسيح لم يطرأ عليها تغيير ، وذلك لكونها لغة مكتوبة ثابتة أكثر منها لهجة عامية ، ولما دانت تلك البلاد للإسلام تغلبت لغة العرب الشمالية على اللهجات الجنوبية وزحزحتها عن مكانها ، غير أنه لا تزال في ألسنتهم عجمة ولُكنة ، والف علماء الاسلام في أخبار ملوك حمير وآثارهم كأبي محمد الحمَداني المعروف بابن ذي الدُمينة أحد أشراف العرب وهو أبو الحسين بن أحمد بن يعقوب صاحب كتاب صفة جزيرة العرب وكتابه المعروف بالأكليل المؤلف في أنساب حمير وأيام ملوكها ، ونشوان ابن سعيد الحميري صاحب القصيدة الحميرية المعروفة

ومن اللغة الحميرية تولدت بعض اللغات في مهرة والشحر وسقطرى في جنوب الجزيرة وهي القريبة من ساحل البحر ، ولا يزال بعض اللهجات العربية الجنوبية موجوداً الى يومنا ، وهذه اللهجات ليست متولدة رأساً من اللغة المكتوبة ، ولعلتها ابتعدت كثيراً عن الشكل السامي القديم أكثر من ابتعاد اللهجات العربية الأخرى عن اللهجات الآرامية العامية

واللغة الحبشية هي فرع عن لغة العرب الجنوبية ، فان العرب نزلوا من جزيرتهم من بلاد اليمن الى سواحل أفريقية المقابلة لهم والقريبة من جزيرتهم واستوطنوها واختلطوا بأهلها القدماء الحاميين ، ولا يعرف بالدقة الزمن الذي نزلوا فيه تلك البلاد ، ولكنه على كل حال كان قبل المسيح ، والظاهر أن نزوحهم اليها كان تدريجياً ، وسميت تلك الأمة الجديدة الأمة الحبشية نسبة الى قبيلة من قبائل حضرموت تسمى حَبَشَة

وسكان بلاد الحبشة ثلاثة اجناس — ١ الجنس الافريقي — ٢ الجنس الحامي — ٣ الجنس السامي ، ولغات هذه الاجناس الثلاثة مختلفة ، وهي

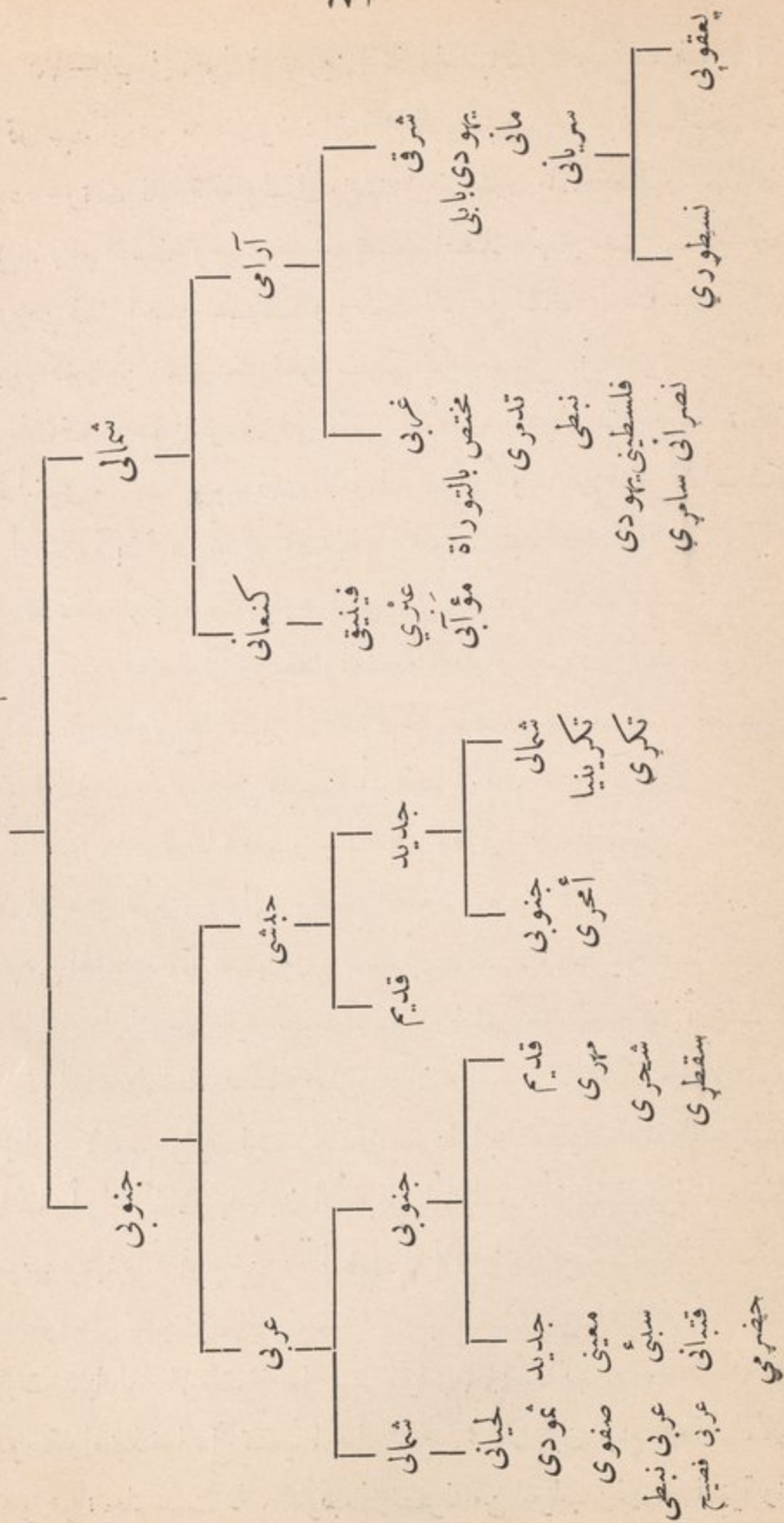
تناسب لغة أهل مصر القديمة ، ولغات قبائل البربر في شمال أفريقيا ، واللغات الحامية من بلاد الحبشة التي تسمى الكوشية ، وكلها تتناسب مع اللغات السامية ولكن لا يعلم بالدقة الوطن الاصلى لكل منها ، وانما بمواصلة البحث والتنقيب والتحقيق عرف أن مجيء الساميين الى افريقية كان من جزيرة العرب وفي ثلاث دفعات ، وطريقهم اليها في كل مرة كان من طريقين شمالية عن طريق برزخ السويس ومصر ، وجنوبية عن طريق باب المندب ، وكانت الدفعة الأولى في زمن قديم جداً لا يعرف مبدؤه ، فاختلطوا باهل البلاد الأصليين وامتزجوا بهم فتولدت منهم أمم هي الأمة المصرية القديمة في مصر ، وقبائل البربر في المغرب ، والحبش وهم القبائل الحامية أو الكوشية في بلاد الحبشة ، والمرة الثانية التي نزحوا فيها من بلاد العرب الى أفريقيا كانت في القرن الخامس قبل الميلاد تقريباً أو في عصور أخرى بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد ، وقد أتى العرب بالجمال معهم الى أفريقيا ولم يكن الجمل معروفاً فيها من قبل كما جاءوا قبل ذلك بالخليل ، وانتقل الخط المسند مع العرب من اليمن وحضر موت الى الحبشة ، وكذلك اللهجات العربية الجنوبية التي منها اشتقت اللغة الحبشية ، والمرة الثالثة التي رحل فيها العرب من جزيرتهم الى الحبشة كان في مبدأ الاسلام فنزلوا في سواحلها وتوغلوا فيها ودخل فريق منهم الى بلاد السودان ومنذ ذلك الحين صارت اللغة العربية لغة السودان

ولغة الحبش تسمى عندهم جِعِيز وتسمى في بعض الاحيان أثيوفية وهو اسم يوناني أطلقه اليونان على الحبش الذين اتخذوه لأنفسهم ، ولم تعرف اللغة الحبشية لدى أهل أوروبا الا بعد التاريخ المسيحي

ومن الكتابات الحبشية وأقدمها كتابة عِيزَ اَنَا أحد ملوك الحبشة وتاريخها خمسون وثلاثمائة بعد الميلاد وهي خلو من حروف العلة وتصحبها كتابة سبائية ، وهذه الكتابات هي اما بالخط المسند الحميري ولغتها سبائية أو حبشية ، أو هي كتابات حبشية بالمسند الحبشي غير المُشَكَّل ، أو بالحبشية والخط المسند

الحبشي المُشكَّل، وأحدث من هذه كتابة الملك الأعميداً وحرفها سبئى ، وفي هذه الكتابة ثرى خاصية من خصائص الحبشية وهى الدلالة على حروف العلة المعدومة من الأبجدية السامية بتغيرات فى نفس الحرف الساكن . هذه هى أقدم آثار اللغة الحبشية وأكثرها وثنى وبعضها وهو القليل نصرانى ، وترجمت التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب الكنائسية الى اللغة الحبشية ، وتمتاز لغة هذه المؤلفات عن اللهجات السامية الأخرى بنحو هو أكثر اطلاقاً وإنشاء أسلس مما يمكن نسبته الى مؤثر أجنبي ، ولم يطل عمر لغة جِعَز فى أثناء الاضطرابات التى سقطت بسببها مملكة أكسوم القديمة فى القرن الثانى عشر وفقدت أمة جِعَز خطرها السياسى ، ومنذ سنة ١٢٧٠ ميلادية جمعت الدولة السلمانية شمل المملكة واحتفظت بالملك الى سنة ١٨٥٥ وهى من بلاد الشوا من بلاد الحبش الجنوبية ومن الأمة الأُمَحْرِيَّة ، ولغة أُمَحْرَة تناسب لغة جِعَز وان اختلفت عنها ، وفى عهد هذه الدولة أخذت آداب اللغة الأثيوبية فى الاضمحلال ولم يظهر لها أثر من نفسها وإنما كانت فى ذلك تابعة للآداب العربية المسيحية التى ظهرت فى مصر ، وكان للغة العربية تأثير كبير فى تركيب الجمل الحبشية لم يكن للغة اليونانية قبلها . واشتقت من لغة جِعَز فى قلب بلاد الحبشة وعلى قرب من أكسوم الحاضرة القديمة لهجة جديدة هى لهجة تَكُرْنِيَا نسبة الى اقليم تَكُرِينِيَا ، ولكن تغلبت عليها اللغة الامحرية كثيراً ، وكان أكثر الذين يتكلمون بها من المسلمين ولذلك اكتسبت لنفسها شكلاً خاصاً لعدم اختلاط أهلها بالمسيحيين الذين يتكلمون الأُمَحْرِيَّة ، ولما كان هؤلاء المسلمون من الجنس الحامى كان للغات الحامية أثر كبير فى لغتهم وبقيت اللغة القديمة محفوظة ويتكلم بها فى الشمال فى المستعمرة الإيطالية المسماة أروثرة وفى جزائر دَهْلَاك ويطلق على هذه اللهجة لغة تَكُرِي وهواسم البلاد نفسها التى يتكلم بها فيها ، وفى بلاد غوراغى فى جنوب الشوا ولا سيما فى حرر تكونت من اللغة الامحرية لهجات ابتعدت عنها كثيراً حتى صار الامحريون لا يفهمونها ، وذلك لعدم اختلاطها باللغات الحامية التى امتزجت بها لغة أُمَحْرَة ولتأثير اللغة العربية فيها بالنسبة للإسلام الذى هو دين أهلها الذين يتكلمون بها فى بلاد حرر

القسم الغربي من اللغات السامية



١٧— باب في القول في تدوين اللغة واستنباط النحو والصرف

قال عبد الرحمن بن خلدون : ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لسانی ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتها ، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تُعين الفاعل من المفعول من المجرور أعني المضاف ، ومثل الحروف التي تقضى بالأفعال الى الذوات من غير تكلف الفاظ أخرى ، وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب ، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما تقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي في الكلام اختصارا » فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات أي الأوضاع اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها ، إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الاول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا ، فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالفات التي للمتعرين والسمع أبو الملكات اللسانية ، ففسدت بما ألقى اليها مما يغيرها لجنوحها اليه باعتياد السمع ، وخشى أهل العلوم منها أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشياء مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملا وأمثال ذلك ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو ، قال ابن جني في الخصائص : والنحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره كالثنائية والجمع

والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها ، وان لم يكن منهم أو ان شذَّ بعضهم عنها رُدَّ اليها . وهو في الأصل مصدر شائع أى نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم

فن النحو

وقد اختلفوا في أول من وضع النحو وفي سبب تسميته بهذا الاسم ، فقال قوم انه على بن أبى طالب ، وقال آخرون ان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلى ، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان ابن جندل ، وكان رجل أهل البصرة عَمَوِيَّ الرأى مات سنة ٦٩ هـ ، قيل ان أبا الأسود الدؤلى دخل الى ابنته بالبصرة فقالت له « ياأبت ما أشدُّ الحرَّ » ، رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم منه أي أزمان الحر أشدُّ ، فقال لها شهرٌ ناجرٌ ، فقالت « ياأبت أنا أخبرتك ولم أسألك » ، وقيل ان أبا الأسود قالت له ابنته « ما أحسن السماء » فقال لها نجومها ، فقالت انى لم أَرِدْ هذا وانما تعجبت من حسنها ، فقال لهااذن فقولى « ما أحسن السماء » فحينئذ وضع النحو . قال أبو الفرج الاصفهاني أول من وضع العربية أبو الأسود ، جاء الى زياد بن أبيه بالبصرة فقال « أصلح الله الامير انى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت سنتهم أفتأذن لى أن أضع علماً يقيمون به كلامهم » ، قال لا ، ثم جاء زياداً رجلٌ فقال « مات أبانا وخلف بنون » ، فقال زيادٌ مات أبانا وخلف بنون رُدُّوا الى أبا الاسود ، فرد اليه فقال ضع للناس ما نهيتك عنه ، فوضع له النحو ، وأول باب وضع منه باب التعجب وكان ذلك بالبصرة ، وقال السيرافى ان السبب فى وضع علم النحو أنه مرَّ بابى الأسود سعد الفارسى وهو يقود فرسه . فقال له مالك ياسعد لا تركب فقال ان فرسى ضالع ، فضحك به بعض من حضره ، فقال أبو الأسود هؤلاء الموالى قد رغبوا فى الاسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا أخوة فلو علمناهم الكلام ، فوضع باب الفاعل والمفعول به ولم يزد عليه . وقال أبو عبيد معمر بن المثنى أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلى ثم ميمون الأقرن . ثم حنْبَسَةُ الفيل . ثم عبد الله بن اسحاق

وقال محمد بن سلام الجمحي أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود وإنما فعل ذلك حين اضطرب كلام العرب . وقال ابن الأثير كُتِبَ معاوية إلى زياد يطلب عبد الله ابنه . فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فردّه إلى زياد وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول أمثل عبيد الله يضيع . فبعث زياد إلى أبي الأسود ، فقال له يا أبا الأسود إن هذه الحمراء يعني الأعاجم قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعرفون به كتاب الله ، فأبى ذلك أبو الأسود . فوجه زياد رجلاً وقال له أقعد في طريق أبي الأسود فإذا مرّ بك فاقراً شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مرّ به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأ « إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » بكسر اللام ، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عزّ وجهه الله تعالى أن يبرأ من رسوله . ثم رجع من فوره إلى زياد فقال قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بأعراب القرآن فأبعث إلى ثلاثين رجلاً ، فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس . فقال خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد . فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، فإذا كسرتها فاجعل النقطة من أسفل الحرف . فان أتبع شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط تقطتين ، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك .

وأما الذين ينسبون وضع العربية إلى علي بن أبي طالب فيقولون إن الروايات كلها تسند إلى أبي الأسود ، وأبو الأسود يسند إلى علي . فقد روى عن أبي الأسود أنه سئل من أين لك هذا العلم يُعْثُونَ النحو ، فقال أخذت حدوده عن علي بن أبي طالب ، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى أخذ أبو الأسود الدؤلي النحو عن علي بن أبي طالب . وروى أبو الأسود قال دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة . فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين ، فقال اني تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعني الأعاجم فأزدت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه . ثم ألقى الرقعة وفيها

مكتوب « الكلام كله اسم وقيل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمي . والفعل ما أنبأ به ، والحرف ما أفاد معنى ، وقال أُنْحِ هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك ، واعلم يا أبا الأسود أن الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر ، وأراد بذلك الاسم المبهم . قال ثم وضعت بابي العطف والنعته ثم بابي التعجب والاستفهام الى أن وصلت الى باب إن وأخواتها ما خلا لكن فلما عرضتها على علي عليه السلام أمرني بضم لكن اليها . وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه الى أن حصلت ما فيه الكفاية ، قال ما أحسن هذا النحو الذي نحوت فلذلك سمي النحو وكان أبو الأسود ممن صحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكان من المشهورين بصحبته ومحبته ومحبة أهل بيته

وأخذ عن أبي الأسود جماعة^(١) منهم يحيى بن يعمر (المتوفى عام ١٢٩ هـ) ، وهو رجل من عدوان كان في عداد بني ليث وكان مأموناً عالماً بما يأتي يروى عنه الفقه عن أبي عمرو وابن عباس ، وروى عنه قتادة وإسحاق بن سويد وغيرهما من العلماء ، وأخذ ذلك عنه أيضاً ميمون الأقرن ، وعذبة الفيل ، ونصر بن عاصم الليثي (المتوفى عام ٨٩ هـ) ، وغيرهم ، ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (المتوفى سنة ١١٣ هـ) فكان أول من بعج النحو ومد القياس والعلل . وكان معه أبو عمرو بن العلاء وبقي معه بقاء طويلاً ، وكان ابن أبي إسحاق أشد تجريداً للقياس . وكان أبو عمرو أوسع علماً بكلام العرب ولغاتها . وكان بلال بن أبي بردة جمع بينهما بالبصرة وهو يومئذ وال عليها ولأه خالد بن عبد الله القسري زمن هشام بن عبد الملك ، قال يونس بن حبيب قال أبو عمرو فغلبنى ابن أبي إسحاق بالهمز ، فنظرت فيه بعد ذلك وبلغت فيه . وكان عيسى بن عمر الثقفي (المتوفى عام ١٤٩ هـ) أخذ عن ابن أبي إسحاق ، وأخذ يونس ابن حبيب (المتوفى عام ١٨٣ هـ) عن أبي عمر بن العلاء . وكان معها مسلمة بن عبد الله بن محارب الفهري . وكان ابن أبي إسحاق بن خاله . وكان حماد بن

(١) طبقات الشعراء للجمعي

الزُّبَيْرِ قَان وَيُونُسَ يَفْضِلَانَهُ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجُمْحِيُّ سَمِعْتُ رَجُلًا يُسَالُ
يُونُسَ عَنْ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ وَعِلْمُهُ ، قَالَ هُوَ وَالْبَحْرُ سَوَاءٌ أَيْ هُوَ الْغَايَةُ . وَأَخَذَ عَنْ
أَبِي عَمْرٍو الْأَخْفَشِ الْكَبِيرِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ أَبُو الْخَطَّابِ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَارَةَ الرُّوَاسِيَّ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ مِنَ الْكُوفِيِّينَ كِتَابًا فِي النُّحُوِّ وَهُوَ
أَسْتَاذُ الْكِسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ ، إِلَى أَنْ انْتَهَتْ (١) إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ
(الْمُتَوَفَى عَامَ ١٧٠ هـ) فِي أَيَّامِ الرَّشِيدِ ، أَخَذَ عَنْ عَيْسَى بْنِ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ . وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو
بْنِ الْعَلَاءِ . فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَكَمَّلَ أَبْوَابَهَا . وَأَخَذَهَا عَنْهُ سَيْبُويه وَهُوَ عَمْرٍو بْنُ
عُثْمَانَ بْنِ قَنْبَرٍ أَبُو بَشَرٍ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٦١ هـ) ، فَكُلُّ تَفَارِيعِهَا وَاسْتَكْثَرُ مِنْ أَدَاتِهَا
وَشَوَاهِدِهَا وَوَضَعَ فِيهَا كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ الَّذِي صَارَ إِمَامًا لِكُلِّ مَا كُتِبَ فِيهَا مِنْ
بَعْدِهِ ، وَأَخَذَ عَنْ سَيْبُويه الْأَخْفَشِ الْجَمَّاشِيِّ (الْأَوْسَطِ) (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١٥ هـ) ،
وَقُطْرُبَ (وَهُوَ أَبُو عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُسْتَنْدِيرُ الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٠٢ هـ) ، وَهُمَا مِنْ عُلَمَاءِ
الْبَصْرَةِ ، وَأَتَى بَعْدَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُشَنَّى (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٠٩ هـ) وَأَبُو زَيْدٍ
سَعِيدُ بْنُ أَوْسٍ الْأَنْصَارِيُّ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢١٥ هـ) ، وَالْأَصْمَعِيُّ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ١٨٠ هـ)
وَأَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْأَثَرَمِ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٣٢ هـ) ، وَبَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَازَنِيُّ
(الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٤٨ هـ) ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ هَرُونَ التَّوَزِيُّ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٣٣ هـ)
وَأَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ الزِّيَادِيُّ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٤٩ هـ) ، وَأَبُو الْفَضْلِ
الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَرَجِ الرِّيَاشِيُّ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٢٥٧ هـ) ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ مَشْهُورِي عُلَمَاءِ النُّحُوِّ ،
ثُمَّ وَضَعَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارَسِيُّ (الْمُتَوَفَى ٣٧٧ هـ) وَأَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ
الزَّجَّاجُ (الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣٣٩ هـ) كِتَابًا مُخْتَصَرًا لِلْمُعَلِّمِينَ حَدَّثُوا فِيهَا حَدَّثُوا الْإِمَامَ
فِي كِتَابِهِ ، ثُمَّ طَالَ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَحَدَّثَ الْخِلَافَ بَيْنَ أَهْلِهَا فِي الْكُوفَةِ
وَالْبَصْرَةِ الْمُضَرَّيْنِ الْقَدِيمَيْنِ لِلْعَرَبِ ، وَأَهْلُهُمَا مِنْ بَيْنِ أَمْصَارِ الْعَرَبِ هُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا
اللُّغَةَ وَاللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَأَثْبَتُوهَا فِي كُتُبٍ فَصِيرُوهَا عِلْمًا وَصَّنَاعَةً ، فَكَثُرَتْ الْأَدَلَةُ
وَالْحُجَاجُ بَيْنَهُمْ . وَتَبَايَنَتِ الطَّرِيقُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثُرَ الْاِخْتِلَافُ فِي إِعْرَابِ كَثِيرٍ
مِنْ آيِ الْقُرْآنِ بِاِخْتِلَافِهِمْ فِي تِلْكَ الْقَوَاعِدِ وَطَالَ ذَلِكَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَجَاءَ

المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار ، فاختصروا كثيراً من ذلك مع استيعابهم
لجميع ما نقل ، كما فعله مالك (محمد بن عبد الله عاش من ٦٠١ الى ٦٧٢) في كتاب التسهيل
وأمثاله ، واقتصارهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨)
في المفصل . وابن الحاجب (جمال الدين أبو عمر المتوفى سنة ٦٤٦) في المقدمة له ،
وربما نظموا ذلك نظماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى . وابن
مُعْطَى في الأرجوزة الألفية . وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى
أو يحاط بها

ولم يكونوا (١) فيما ألفوا ورتبوا يكتبون بما يسمعون من أهل العلم ، بل كانت
عنايتهم متجهة الى التحقيق والتمحيص والاستماع من فصحاء الأعراب ووفود
البادية لسلامة سليقتهم وعدم اختلاطهم بغيرهم من الأعاجم . ومن مشاهير فصحاءهم
أبو البيداء الرياحي وأبو مالك عمر بن كركرة ، وأبو عرار العجلي ، وأبو زياد
الكلابي . وأبو سوار الغنوي ، وشبيل بن عرعر الضبعي ، وأبو عدنان ورد
ابن حكيم ، ونهشل بن زيد ، وأبو شبيل العقيلي ، وأبو محلم الشيباني ، وأبو
مسحك ، وأبو ضمضم الكلابي ، والبهذلي ، وجهم بن خلف المازني ، ومؤرج
السدوسي ، والحياني ، وخلف الأحمر وغيرهم من فصحاء العرب

فن التصريف أو علم الصرف

وأما علم الصرف فالمظنون أن أول من وضعه هو معاذ الهراء ويستدلون (٢)
على ذلك بما يأتي : وذلك أن مسلم مؤدب ولد عبد الملك بن مروان كان نظر
في النحو ثم لما حدث التصريف جلس الى معاذ الهراء فسمعه يقول لرجل كيف
تُشْنِي من تَوُرُّهُمْ أَرَأَ مثل يَفْعَلِ افْعَلْ ، فانكر ذلك أبو مسلم وقال :

تَدَ كان أَخْذُهُمْ في النحو يُعْجِبُنِي حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعتُ كلاماً لستُ أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم
تركتُ نحوهم والله يَعْصِمُنِي من التعجُّم في تلك الجرائم

(١) — الفهرست لابن النديم

(٢) — بغية الوعاة للسيوطي ، وغيره

فأجابه معاذ الهراء بقوله

عاجلتها أعرداً حتى اذا شئت ولم تحسن أباجادها
سميت من يعرفها جاهلاً يصدرها من بعد ايرادها
سهل منها كل مستصعب طود على أقران أطوادها

قال السيوطي فوضح بهذا أن واضع التصريف معاذ الهراء
ومعاذ الهراء هذا يكنى أبا علي من موالى محمد بن كعب القرظي وهو عم أبي
جعفر الرؤاسي ، ولد في أيام يزيد بن عبد الملك وعاش الى أيام البرامكة وعمر
نحو مائة وخمسين عاماً ومات أولاده وأولاد أولاده وهو باق حتى قال فيه الشاعر
ان معاذ بن مسلم رجلٌ قد ضج من طول عمره الأبد
يأسر لقران كم تمشي وكم تأكل طول الزمان باليد
وتوفي في بغداد في السنة التي نكب فيها البرامكة أي سنة سبع وثمانين
وقيل سنة تسعين ومئة في خلافة الرشيد ، وكان معاذ بن مسلم من أعيان النحاة ،
وكان يبيع الثياب الحرورية ففيل له الهراء وكان شيعياً ، وأخذ عنه أبو الحسن علي
ابن حمزة الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩) وغيره وصنف كتباً كثيرة في النحو

متن اللغة

ان ما تقدم يختص بملكة اللسان في الحركات المسماة عند النحويين بالاعراب ،
وقد استمر (١) الفساد بملاسة العجم ومخالطتهم حتى تأدت الى موضوعات
الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ، ميلاً مع
هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج الى حفظ
الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل
بالقرآن والحديث ، فشمركثير من أئمة اللسان لذلك ، وأملوا فيه الدواوين ،
وكان سابق الخلبة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى بالبصرة سنة

(١) — ابن خلدون

سبعين ومئة ، ألف كتاب العين ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب الخارج ، فبدأ فيه بحروف الخلق ثم ما بعدها من حروف الحنك ، ثم الأضراس ، ثم الشفة ، وجعل حروف العلة آخراً ، وبدأ من حروف الخلق بالعين ، لأنه الأقصر منها ، فلذلك سمي كتابه بالعين لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم الى مثل هذا ، وهو تسمية بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ ، ثم بالحاء والهاء والحاء والعين والقاف والسكاف والجيم والشين والصاد والضاد والسين والراء والطاء والذال والتاء والظاء والذال والتاء والزاي واللام والنون والفاء والميم والواو والألف والياء ، والخليل هذا هو أول من استخرج العروض وحصن به أشعار العرب

ثم ألفت من بعده كتب شتى كالنوادير لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩) ، والجيم والنوادر واللغات لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) ، والنوادر لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (المتوفى سنة ٢٠٧) ، واللغات لأبي عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢١٠) ، والنوادر واللغات لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري (المتوفى سنة ٢١٥) ، والأجناس لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (المتوفى سنة ٢١٦) والجامع في اللغة لمحمد بن جعفر القزاز القيرواني (المتوفى سنة ٤١٢) ، وغريب المصنف لأبي القاسم عبيد بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤) ، والنوادر لابن الأعرابي (المتوفى سنة ٢٣٢) ، والجمهرة لأبي بكر بن دُرَيْد الأزدى (المتوفى سنة ٣٢١) ، والمنصّد لعلي بن الحسن الهنائي المعروف بكراع النمل (المتوفى سنة ٣٠٧) ، واليوافيت لأبي عمر الزاهد غلام ثعلب (المتوفى سنة ٣٤٥) ، والتهذيب لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (المتوفى سنة ٣٧٠) ، والتكملة لأبي علي الفارسي (المتوفى سنة ٣٧٧) ، والمحيط للصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٣٨٥) ، والمُجْمَل لأبي الحسن أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٠) ، وديوان الأدب لاسحاق بن إبراهيم الفارابي خال الجوهرى (المتوفى سنة ٣٥٠) ، والبارع لأبي طالب الأنصاري

ابن سَلَمَة ، عدا كثير غيرها من التأليف الممتعة في اللغة خلف الأحمر (المتوفى سنة ١٨٧) ، وأبي فيد بن عمرو مؤرِّج السدوسي (المتوفى سنة ١٩٥) ، وأبي الحسن النضر بن شُمَيْل (المتوفى سنة ٢٠٣) ، وأبي الحسن بن حازم اللحياني (المتوفى سنة ٢١٥) ، والمفضل الضبي (المتوفى سنة ٢٢٠) ، وأبي يوسف يعقوب بن السَّكَّيت (المتوفى سنة ٢٤٤) ، وعبدالله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٠) ، وأبي العباس المبرِّد (المتوفى سنة ٢٨٥) ، وأبي اسحاق بن السريّ الزَّجَّاج (المتوفى سنة ٣١١) ، وأبي عبدالله الحسن بن خالويه (المتوفى سنة ٣٧٠) ، وأبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى سنة ٣٥٢) ، وكلهم من أعيان اللغويين الذين ألَّفوا في اللغة ، ثم جاء أبو بكر الزبيدي في المئة الرابعة (توفي سنة ٣٩٣) فاختصر كتاب العين مع المحافظة على الاستيعاب ، وألف الجوهري أبو نصر اسماعيل ابن حمَّاد (المتوفى سنة ٣٩٣) كتاب الصَّحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداءة منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة لا يضطرار الناس في الأكثر إلى أواخر الكلمة . وحصر اللغة اقتداءً بحصر الخليل ثم ألف أبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده الداني الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٨) كتاب المحكم والمحيط الأعظم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين ، ثم وضع الحسن بن محمد بن الحسن ابن حيدر رضي الدين الصاغانى (عاش من سنة ٥٧٧ إلى ٦٥٠) كتاب العباب ، ثم ألف الامام جمال الدين محمد بن مُكْرَم بن منظور الافريقى الأنصارى الخزر جى (عاش من سنة ٦٣٠ إلى ٧١١) لسان العرب ، وألف الامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى الشيرازى (عاش من سنة ٧٢٩ إلى ٨١٧) القاموس المحيط والقابوس الوسيط ، ثم شرح الامام محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي (المتوفى سنة ١٢٠٥) القاموس المحيط وأسماء تاج العروس من جواهر القاموس وفرغ من شرحه عام ١١٨١) ، ثم ألف بطرس البستاني اللبناني (المتوفى سنة ١٨٨٣ م) محيط المحيط فرغ من تبليضه وطبعه في مدينة بيروت سنة ١٢٨٦ هـ

١٨٧٠ م وهو آخر ما وضع من كتب اللغة التي يعول عليها ويركن الى تحقيقها .

١٨ — باب في القول في فضل اللغة العربية واتساعها

لغة العرب من أفضل اللغات وأعظمها اتساعاً ، أما فضلها فلما اختصت به من الاستعارة والتمثيل والقلب والابدال والتقديم والتأخير ، والبسط بالزيادة في عدد حروف الاسم والفعل والقبض محاذاة للبسط وهو النقصان في عدد الحروف واتساعها في المجاز والادغام والتأليف (تأليف الحروف) واختلاس الحركات في الكلام وتخفيف الكلمة بالحذف ، والاعراب (١) الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ والمميز لها ، واختصاصها بحروف يصعب النطق بها على غير العرب من الامم ، وتصريف الكلام ، وسنننها في مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، والحذف والاختصار والزيادة في الأسماء أو الأفعال أو الحروف لأغراض شتى ، والتكرير والاعادة لارادة الابلاغ في التنبيه والتحذير والتوهم والابهام ، والمخاطبة بلفظ الجمع أو بالمفرد والمراد غير ذلك والفرق بين الضدين بحرف أو حركة ، والاضمار للأسماء أو للأفعال ، والتعويض في الكلمات وقلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثاني أخف من الأول ، نحو ميعاد فلم يقولوا موعاد ، والاعتراض والاشارة والاياء دون التصريح ، والكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام ، والمحاذاة والاقتصار في الكلام على ذكر بعض الشيء والمراد كله ، والأمثلة والموازن اختير منها ما فيه طيب اللفظ وأهمل منها ما يجفوا اللسان عن النطق به فجاء الكلام بهذه المحسنات في هذه اللغة غاية في الرونق والعدوبة ، فصيحاً

(١) الاعراب مصدر أعربت عن الشيء إذا أوضحت عنه وفلان معرب عما في نفسه أي مبین له وموضح عنه . ومنه عربت الفرس تعريباً إذا بزغته ؛ واصل هذا كله قولهم العرب وذلك لما يعزى اليه من الفصاحة والاعراب والبيان ؛ ومنه قولهم في الحديث « الثيب تعرب عن نفسها » . والمعرب صاحب الخيل العراب . ومنه عندى عروبة ، والعروبة الجمعة ؛ وذلك ان يوم الجمعة أظهر أمراً من بقية أيام الاسبوع وقولهم عربت معدته أي فسدت كأنها استحالته من حال الى حال كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة . وبالأعراب يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام بولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منوعات ولا تعجب من استفهام ولا نعت من تأكيد

بليغاً بعيداً عن التنافر والغرابية ، منزهاً عن النقائص ، معلّ من كل خسيصة مما يستهجن أو يستبشع ، مؤلفاً بين حركته وسكونه ، فلم يجمع بين ساكنين أو متحركين متضادين ، ولم يلاق من حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطق بهما أو يشنع ذلك منهما في جرس النغمة وحسن السمع ، كالعين مع الحاء والقاف مع البكاف والحرف المطبق في غير المطبق

فالعرب (١) تميل عن الذي يلزم كلامها الجفاء الى ما يلين حواشيه ويرققها ، وقد نزه لسانها عما يجفيه ، فليس في مباني كلامها جيم تجاورها قاف متقدمة ولا متأخرة ، أو يجامعها في كلمة صاد أو كاف الا ما كان أعجمياً أغرب قال أحمد بن فارس ان للعرب سنناً ونظوماً في كلامهم وأشعارهم لو أراد مريد نقلها لاغتاص وما أمكن الا بمسوط من القول وكثير من اللفظ ، وهذه النظم كثيرة طالت بها لغة العرب اللغات وقال: للعرب بعد ذلك كلمٌ تلوح في أثناء كلامهم كالمصاييح في الدُّجَي « فبكلام العرب جارٍ مجرى السحر لطفاً ، وجوامع الكلم هي من منظوقهم ومفاخر لسانهم

ولم تكن عناية العرب موجهة كلها الى الألفاظ دون المعاني ، قال ابن جني ان العرب كما تعنى بالفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالنخطب أخرى ، وبالأسجاع التي تلزمها وتتكلف استمرارها ، فان المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأنخم قدراً في نفوسها ، فأول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقاً الى اظهار أغراضها ومراميها ، أصلحوها ، ورتبوها ، وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب لها في الدلالة على القصد ، ألا ترى أن المثل اذا كان مسجوعاً لذِّ سامعه فحفظه ، فاذا هو حفظه كان جديراً باستعماله ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس ولا أنقَّت لمستجعه ، واذا كان كذلك لم تحفظه واذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله ، ثم قال « فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها

وَسَمَّوْا حَوَاشِيَهَا وَهَذَبُوهَا وَصَقَلُوا غُرُوبَهَا وَأَرْهَفُوهَا فَلَا تَرَيْنَ أَنَّ الْعَنَاءَ إِذَا ذَاكَ
 إِنَّمَا هِيَ بِالْأَلْفَافِ بَلْ هِيَ عِنْدَنَا خِدْمَةٌ مِنْهُمْ لِلْمَعْنَى وَتَنْوِيهِ وَتَشْرِيفٌ ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ
 إِصْلَاحُ الْوَعَاءِ وَتَحْصِينُهُ وَتَرْكِيتُهُ وَتَقْدِيسُهُ ، وَإِنَّمَا الْمُبْغِيُّ بِذَلِكَ مِنْهُ الْإِحْتِيَاطُ لِلْمَوْعَى
 عَلَيْهِ وَجَوَارِدُهُ بِمَا يَعْطُرُ بِنَشْرِهِ وَلَا يُعَرِّجُ جَوْهَرَهُ ، كَمَا قَدْ نَجَدُ مِنَ الْمَعْنَى الْفَاحِشَةِ
 السَّامِيَةِ مَا يُهْجِنُهُ وَيَغْضُ مِنْهُ كُدْرَةُ لَفْظِهِ وَسُوءُ الْعِبَارَةِ عَنْهُ ، فَكَأَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا
 تَحْلِي أَلْفَافَهَا وَتَرْبِّجُهَا وَتُشَبِّهُهَا وَتَزَخَرُفُهَا عَنَاءً بِالْمَعْنَى الَّتِي وَرَائِهَا وَتَوْصِلُهَا إِلَيْهَا إِلَى إِدْرَاكِ
 مَطَالِبِهَا ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنْ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ
 «سِحْرٌ» فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَقِدُ هَذَا فِي أَلْفَافِ هَؤُلَاءِ
 الْقَوْمِ ، الَّتِي جَعَلَتْ مَصَائِدَ وَأَشْرَافًا لِلْقُلُوبِ وَسُلَمًا إِلَى تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ ، عُرِفَ
 بِذَلِكَ أَنَّ الْأَلْفَافَ خِدْمٌ لِلْمَعْنَى وَالْمُخْدُومُ أَشْرَفُ مِنَ الْخَادِمِ ثُمَّ قَالَ وَيَدُلُّكَ عَلَى
 تَمَكُّنِ الْمَعْنَى فِي أَنْفُسِهِمْ وَتَقَدُّمِهِ لِلْفِظِّ عِنْدَهُمْ تَقْدِيمُهُمْ لِحَرْفِ الْمَعْنَى فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ ،
 وَذَلِكَ لِقُوَّةِ الْعَنَاءِ بِهِ فَقَدِمُوا دَلِيلَهُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَمَارَةً لَتَمَكُّنِهِ عِنْدَهُمْ ، وَعَلَى ذَلِكَ
 تَقَدَّمَتْ حُرُوفُ الْمُضَارَعَةِ فِي أَوَّلِ الْفِعْلِ إِذْ كُنَّ دَلَائِلَ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ مِنْ هَمْ وَمَا هَمْ
 وَكَمْ عَدَّتْهُمْ نَحْوَ أَفْعَلَ وَنَفْعَلَ وَتَفْعَلَ وَيَفْعَلُ وَحَكَمُوا بِضَدِّ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ ،
 فَحُرُوفُ الْمَعْنَى عِنْدَ الْعَرَبِ بِأَبْهَا التَّقَدُّمُ وَحُرُوفُ الْإِلْحَاقِ وَالصَّنَاعَةُ بِأَبْهَا التَّأَخُّرُ ،
 فَلَوْ لَمْ يَعْرِفْ سَبْقُ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ وَعُلُوُّهُ فِي تَصَوُّرِهِمْ إِلَّا بِتَقْدِيمِ دَلِيلِهِ وَتَأَخُّرِ دَلِيلِ
 تَقْيِضِهِ لَكَانَ مُغْنِيًّا مِنْ غَيْرِهِ كَافِيًّا »

الكناية

وَمِنْ مَفَاخِرِ لُغَةِ الْعَرَبِ الْكِنَايَةُ ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ « لَمْ تَكُنِ الْكِنْيَةُ لَشَيْءٍ
 مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا لِلْعَرَبِ وَهِيَ مِنْ مَفَاخِرِهَا ، وَالْكِنْيَةُ أَعْظَامُ وَمَا كَانَ يُؤْهِلُ لَهَا إِلَّا
 ذُو الشَّرَفِ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ :

أَكْنَيْتِهِ حِينَ أَنْادِيهِ لَا كَرَمَهُ وَلَا أَلْقَبُهُ وَالسُّوءَةُ الْقَبُّ
 وَالَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى التَّكْنِي الْإِجْلَالُ عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْأَسْمِ بِالْكِنَايَةِ عَنْهُ

الشعر

ومن مفاخر لغة العرب الشعر فإنه ديوانهم وحافظ ما أثرهم وآدابهم وأنسابهم ، ومقيد أحسابهم ومستودع علومهم ومعدن أخبارهم ومنتهى حكيمهم ، به يأخذون واليه يصيرون ، يرجعون اليه عند اختلافهم في الأنساب والحروب ، ومن الشعر تعلمت اللغة وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، والشعر (١) النفس له أحفظ ، واليه أسرع ، ألا ترى أن الشاعر قد يكون راعياً جليفاً أو عبداً عسيفاً تنبو صورته وتمج جملته فيقول ما يقول من الشعر فلاجل قوله وما يورده عليه من طلاوته وعذوبة مستمعه ما يصير قوله حكماً يرجع اليه ويقتاس به ، ولقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة ، وقدرني شعر العرب على شعر سائر اللغات ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان الشعر (٢) علم القوم ولم يكن لهم علم أصح منه ف جاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيئت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمن صار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب ، فآلفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره ، قال أبو عمرو بن العلاء ما انتهى اليكم مما قلت العرب الأقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير .

العروض

والعروض التي هي ميزان الشعر وبها يعرف صحيحة من سقيمة وأهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع إلا أن صناعة الايقاع تقسيم الزمان بالنغم وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة (٣)

(١) الخصائص لابن جني (٢) الخصائص (٣) الصاحبي

الأمثال

ومن مفاخر العربية الأمثال وهي حكمة العرب في الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكنيائية غير تصریح ، قال ابراهيم النظام يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام ، ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكنيائية ، فهو نهاية البلاغة ، وقال ابن المقفع اذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأنقى للسمع وأوسع لشعوب الحديث .

١٩ — باب في القول في اتساع اللغة العربية

اما القول في اتساع اللغة العربية فهو شائع مشهور محقق بالعيان ، فلسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، قال أحمد بن فارس : قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط به الا نبي ، وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً وما بلغنا أن أحداً ممن مضى أوعى حفظ اللغة كلها ، والمراد من هذا القول بيان عظمها وأن وعيها معجزة لا تأتي الا من نبي ، وقال ذهب علماءنا أو أكثرهم الى أن الذي انتهى اليه من كلام العرب هو الأقل ، وأن كثيراً من الكلام ذهب بذهاب أهله ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير وللعرب أقوليل كثيرة وتعابير جمّة بعضها ليس بغريب اللفظ ولكن الوقوف على كنهه معتاص وقد بينا ذلك في مراتب لغة العرب ، وليس أدل على اتساع اللغة العربية من استقصاء أبنية الكلام وحصر تراكيب اللغة وهو ما توصل اليه الخليل بن أحمد ، فقد ذكر في كتات العين (١) أن عدة أبنية كلام العرب المستعمل منه والمهمّل على مراتبها الأربع من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي من غير تكرار اثنا عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وألفان وتسعمائة واثنان عشر (١٢٣٠٢٩١٢) ، وقال بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول : اذا قيل كم يتحصل من تركيب حروف المعجم كلمة ثنائية سواء كانت مهملة أو مستعملة فاضرب

ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين فالخاصل جواب : $٢٧ \times ٢٨ = ٧٥٦$
فان قيل كم يتركب منها كلمة ثلاثية بشرط أن لا يجتمع حرفان من جنس
فاضرب حاصل ضرب ثمانية وعشرين في سبعة وعشرين في ستة وعشرين يكن

$$١٩٦٥٦ = ٢٦ \times ٢٧ \times ٢٨$$

وان سئلت عن الرباعية فاضرب هذا المبلغ في ٢٥ :

$$١٩٦٥٦ \times ٢٥ = ٤٩١٣٠٠ \text{ (أى } ٢٥ \times ٢٦ \times ٢٧ \times ٢٨ \text{)}$$

والقياس فيه مطرد في الخماسي فما فوق : $٢٤ \times ٤٩١٣٠٠ = ١١٧٩١٢٠٠$

فيكون المجموع كله ١٢٠٣٠٢٠٩١٢

وقال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي في مختصر كتاب العين ان عدة مستعمل
الكلام كله ومهمله ستة آلاف الف وستمئة الف وتسعة وتسعون ألفاً وأربعمئة

(٦٠٦٩٩٠٤٠٠)

المستعمل منها ٥٦٢٠

والمهمل ٦٠٦٩٣٠٧٨٠

المهمل	المستعمل منه		
٢٦١	٤٨٩	٧٥٠	عدة الثنائي
١٥٣٨١	٤٢٦٩	١٩٦٥٠	» الثلاثي
٣٠٢٥٨٠	٨٢٠	٣٠٣٤٠٠	» الرباعي
٦٣٧٥٥٥٨	٤٢	٦٣٧٥٦٠٠	» الخماسي
٦٠٦٩٣٠٧٨٠	٥٦٢٠	٦٠٦٩٩٠٤٠٠	المجموع

والكلام المهمل على ثلاثة أضرب ، ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام
العرب بثة وذلك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم وكعين مع غين
أو هاء مع هاء أو غين ، فهذا وأشبهه لا يأتلف ، والضرب الثاني ما يجوز تألف
حروفه ولكن العرب لم تقل عليه وذلك كإرادة مرید أن يقول عَضَخَ فهذا يجوز
تألفه وليس بالنافر ، الا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة خَضَعَ لكن العرب

لم تقل عَضَخَ ، والضرب الثالث هو أن يريد مرید أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الزلق أو الأطباق حرف ،

وقد ذكر ابن خلدون في المقدمة الوجوه العددية التي حصر بها الخليل أبنية الكلام فقال : ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد ، لأن الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ، ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ، ثم الثالث والرابع ، ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحداً ، فتكون كلها أعداداً على توالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي ، لان التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات ، وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لأن كل ثنائية يزيد عليها حرف فتكون ثلاثية ، فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية ، فتجمع من واحد الى ستة وعشرين على توالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي ، فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه فمن هذا العدد الوافر يتحقق من اتساع اللغة ووفرة مادتها

ومما امتازت به اللغة العربية وطالت به غيرها من اللغات ويدخل في باب اتساعها وعظمتها كثرة المترادف فيها ، وهو وان أنكره بعضهم وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات ، غير أنه ليس منها اسم ولا صفة الا ومعناها غير معنى الآخر ، وقد علوا المترادف هذا بأنه من واضعين مختلفين وهو الأكثر ، بأن تضع احدي القبيلتين أحد الاسمين والاخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر احدهما بالآخرى ،

ثم يشتهر الوضعان ويخفى الوضعان ، أو أن يكون من واضع واحد وهو الأقل
ومن فوائده (١) أن تكثر الوسائل أى الطرق الى الاخبار عما فى النفس ،
فانه ربما نسى الانسان أحد اللفظين ، أو عسر عليه النطق به اذا كان ألغ ، ولولا
المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك ، ومنها التوسع فى سلوك طرق
الفصاحة وأساليب البلاغة فى النظم والنثر ، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى
باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف
البديع ، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ ، ومنها قد يكون أحد
المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفى وقد ينعكس الحال بالنسبة
الى قوم دون آخرين .

واللغة العربية ببلجاتها المختلفة هي الآن لغة كثير من الأمم بخلاف اللغات السامية الأخرى ، وتفوقها وتغلبها هذا هو للإسلام ، وهي وإن كانت الآثار اللغوية فيها أحدث منها في كثير من اللغات السامية الأخرى فإن اللغة الفصحى لغة القرآن والحديث هي اللغة التي حافظت على أساليبها القديمة إلى الآن ، فهي اليوم كما كانت منذ آلاف السنين ، واللغة الفصحى هي اليوم في الأسماء والأفعال أغنى من كل اللغات السامية فإن صيغ الفعل فيها عديدة وهي فَعَلَ وفَعَّلَ وفَاعَلَ وفَاعَلَ وتَفَاعَلَ وانفَعَلَ وانفَعَلَ وافْعَلَ واستفَعَلَ وافْعَلَ وافْعَوُعَلَ وافْعَوُعَلَ وافْعَمَلَلَّ وافْعَمَلَلَّ وانْعَمَلَلَّ ، ولكل صيغة منها معنى لا تؤديه الأخرى وهذا ما لا نظير له في لغة أخرى

وأما الأسماء فأسماء المصادر منها كثيرة جداً لا تُنافسها في كثرتها لغة أخرى ، وكذلك جموع التكسير التي امتازت بها اللغة العربية وغلبت بها اللغات الأخرى حتى السامية منها وهي ثلاثة وعشرون وزناً : فَعْلٌ وفُعْلٌ وفَعِّلٌ ونَعْلٌ وفُعِّلَةٌ وفَعَّلَةٌ وفَعَّلَى ونَعَّلَ ونُعِّلُ ونُعَال ونُعُول ونُعْلَان ونُعْلَانٌ ونُعْلَانٌ وَأَفْعِلَاءٌ وفَوَاعِلٌ ونُعَائِلٌ ونُعَالِيٌ ونُعَالِيٌ ونُعَالِيٌ ونُعَالِيٌ ونُعَالِيٌ

وقد جمع بعضهم من أوزان جموع التكسير نحو اثنين ومئة وزن ، وبهذه الخصائص والميزات كانت اللغة العربية ميزانا يقاس عليه الاسماء في اللغات السامية الأخرى ، وهي واسعة المعاني جزلة الأوزان لا تحصى مفرداتها ويعجز العالم عن استيعابها بالحفظ ولا بدَّ له من الاستعانة بمعاجم اللغة على الدوام .

٢٠ - باب في الكتابة العربية

ومن مميزات لغة العرب حروفها التي تكتب بها وتلفظ بناء عليها ، وقد عقد لها المرحوم حنفى ناصف بك باباً خاصاً في كتابه « تاريخ الأدب » أتى فيه على قسمة الحروف الى أصلية والى متفرعة وبين حركاتها ومخارجها وصفاتها وترتيبها وخواصها الى أن قال في آخر كلامه « وليس غرضنا من تعديد هذه المزايا لحروف اللغة العربية الخط من شأن غيرها من اللغات أو تثبيط همم المشتغلين بها معاذ الله ، وإنما غرضنا الرد على المفتونين ببعض اللغات الأجنبية ، الجاهلين بالعربية في زعمهم أن العربية أصعب مراساً وأبعد منالاً ، وهم لو أعطوها من العناية ربع ما أعطوه لغيرها لعرفوا أنها في غاية الاحكام وعلى طرف التمام » فمن شاء استيعاب جميع ما جاء في هذا الباب فليرجع اليه

وقد ذكر حنفى ناصف بك قواعد الشكل في الكتابة العربية فقال « كانت الكتابة قديماً في الشرق والغرب عارية عن الشكل ، ثم أدخل اليونان ومن هذا حذوهم من أهل أوروبا علامات في صلب كتابتهم ، بمعنى أنهم جعلوا بعد كل حرف متحرك حرفاً آخر أو حرفين للدلالة على حركة ذلك الحرف ، فصارت الكتابة عندهم ضعف ما كانت عليه قديماً بل أكثر من الضعف ، أما العرب وسائر الساميين فلم يدخلوا الشكل في صلب الكتابة بل جعلوا له علامات توضع فوق الحرف أو تحته أو بجانبه ، ولم يشكّلوا كل حرف وإنما شكّلوا من الحروف ما تلبس حركته وتركوا أكثر الحروف غفلاً ضمناً بالوقت أن يضيع فيمالا فائدة له تذكر واقتصاداً في الأوراق ، فصارت الكتابة العربية بالنسبة

لكتابة الافرنج كأنها مختزلة يكتبها العربي في أقل من نصف الزمن الذي يشغله الافرنجي في كتابة ترجمتها على فرض الكاتبين في درجة واحدة من السرعة ، وقد جربنا ذلك مراراً فلم تخطئ التجربة ، فالافرنج سهلوا القراءة ولكنهم صعبوا الكتابة والعرب سهلوا الكتابة والقراءة معاً ما اذا تركوا الكتابة غفلاً فقد سهلوا الكتابة وصعبوا القراءة ، وقد أجمع الأدباء على أنهم لا يتركون الكتابة غفلاً الا اذا كانوا يكتبون لأنفسهم أو لنظرائهم أو كان المكتوب قصة ونحوها مما لا يعظم الخطر في اللحن فيه ، والمتفق عليه عندهم أن يشكوا ما يشكل كما قال ابن مجاهد ، ينبغي ألا يُشكَّل الا ما يُشكَّل فالقاعدة العامة عندهم تنحصر في قولك « أشكل ما يُشكَّل » ، وقد بين حفي بك القواعد لما ينبغي أن يشكَّل من الحروف في بنية الكلمة تفادياً من اللبس وما ينبغي أن يترك غفلاً اما لأنه الأصل في الكلمة أو لأنه معلوم ، ومتى يكون الشكل تاماً في جميع الكلمة ، وتحتوي القاعدة الأخيرة المصاحف والكتب المقدسة فانها تشكل شكلاً تاماً زيادة في الاحتياط ، وكذلك كتب تعليم الاطفال ثم قال رحمه الله انه ليس في تطبيق هذه القواعد صعوبة على من عنده مسكة من الذوق ، وذكر مناظرة جرت بينه وبين متشيع لهجر العربية المضرة والاقتصار على المخاطبة والمكاتبة بالعامية ، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وهي محاورة لطيفة أعجز بها مناظره عن الجواب وختمها بقوله : « فقد علمت من هذه المناظرة أن الكتابة العربية اذا شكل من حروفها ما يشكل كانت غاية الغايات في الاختصار والبيان وليس في الامكان أبدع مما كان »

٢١ - باب في حاجة العرب الى التعريب

بلاد العرب وتعرف بجزيرة العرب تجاور أمماً كثيرة من جميع جهاتها ، وهذه الأمم المجاورة لأمة العرب كالحند وفارس والعراق والشام والروم ومصر والحبشة كانت على جانب عظيم من المدنية والحضارة ، وعلاقتها التجارية

والسياسية مع جزيرة العرب دائماً الاتصال ، فكان من الضروري تبعا للمعاملات والأسفار المتداولة بينها تبادل المصطلحات العامة واقتباس مسميات الأشياء التي توجد في بلد منها ولا توجد في الأخرى ، مما تضطرها اليه التجارة وتبادل المنفعة ، حتى يحسن التفاهم وتسهيل المعاملة ، فيتناول العرب اللفظ الأعجمي فيصقلونه ويهندمونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم .

قال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد (١) اما علمها أى جزيرة العرب التي كانت تتفاخر به وتبارى به فعلم لسانها وأحكام لغتها ونظم الأشعار وتأليف الخطب ، وكانت مع ذلك أصل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصا ، قال أبو محمد الهمداني ليس يوصل الى خبر من أخبار العجم والعرب الا بالعرب ومنهم ، وذلك أن من سكن بمكة من العماليق وجرحم وآل السميندع بن هونة وخزاعة أحاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية وأخبار أهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الأعاجم من عهد أسعد الى كرب وبختنصر حووا علم الأعاجم وأخبارهم وأيام حمير ومسيرها في البلاد ، وعنهم صار أكثر مارواه عبيد بن شربة . ومحمد بن السائب الكلبي والهيثم بن عدى وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسان خبير بأخبار الروم وبنى اسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين من تنوخ وإياد فعنه أتت أخبار طسم وجديس ، ومن وقع من ولد نصر من الأزدي بعمان فعنه أتى كثير من أخبار السند والهند وشيء من أخبار فارس ، ومن وقع بجبلي طيء فعنه أتت أخبار آل أذينة والجرامقة . ومن سكن باليمن فانه علم أخبار الأمم جميعاً لأنه كان في دار مملكة حمير وفي ظل الملوك السيّارة الى الشرق والغرب والجنوب والشمال . ولم يكن ملك منهم يغزوا الا عرف البلاد وأهلها ، والعرب أصحاب حفظ ورواية لخفة الكلام عليهم ورقة ألسنتهم اه

فالعرب لا تحصل علم ذلك كله الا اذا ادججت في لسانها كثيراً من ألفاظ الامم التي نقلت عنها أسماء الاجناس والأعلام فتأخذ تلك الاسماء التي سقطت اليهم فتعربها بألسنتها وتحولها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فتصير عربية وتضمها الى لغتها كأنها منها ، فالتعريب قد وقع قديماً من لغات الأمم المجاورة وهذه كانت حال العرب في جاهليتها

فلما جاء الاسلام ونزل القرآن مرشداً وهادياً لهم الى طريق الخير . كان أول شيء عنيت به العرب من العلم هو لغتها ، ومعرفة أحكام شريعتها ، ونقلت من اللغة ألفاظاً عن مواضعها الى مواضع أخرى ، وهي المسماة بالألفاظ الاسلامية كلفظ المؤمن من الايمان وهو التصديق ، والمسلم من التسليم ، والكافر من الكفر وهو الفطاء والستر ، والمذاق من نفقاء اليربوع ، والفسق من قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرتها ، وكذلك كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، فان الصلاة في اللغة هو الدعاء ، والصوم هو الامساك ، والزكاة النمو ، والحج القصد فزاد الشرع في معناها ما زاد مما هو معروف ، وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر

واستمر الحال على هذا المنوال من العناية باللغة والرعاية للدين ، في زمن الخلفاء الراشدين وفي الدولة الأموية ، ثم أخذت الهمم تتجه الى العلوم الكونية ، والسير في طريق العمران المدني من تعلم العلوم والصنائع سداً لحاجاتها المتوالية ، فاستحدث أهل العلوم والصناعات من الأسماء ونقلوا من المصطلحات المجازية ما احتاجوا اليه إتماماً لنهضتهم

وأول من عُني منهم بنقل العلم خالد بن يزيد بن معاوية رأس الدولة الأموية وأول فلاسفة الاسلام ، قال محمد بن اسحاق (١) كان خالد بن يزيد بن معاوية هذا حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة (٢) فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تنصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي

(١) الفهرست (٢) أي علم الكيمياء

الى العربي ، وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة ، وكان أول من نقل له كتب الصنعة اصطَفَنَ القديم (١) نقلها من اليونانية الى العربية ، ومن النقلة ماسَرْجَوِيَه الطيب السرياني نقل من اليونانية الى العربية كِنَاشْ أَهْرُونْ وكان في زمن مروان بن الحكم رابع خلفاء بني أمية ، وفي زمن عبد الملك بن مروان اختص الحجاج بن يوسف عامله على العراق ثِيَاذوق (البطيرك) وثاودون الطيبين السريانيين ، ومن تلاميذ ثياذوق نبغ كثير منهم فُرات بن شحناثا وهو سرياني اللغة يهودي المذهب ، وفي زمن الوليد بن عبد الملك سادس خلفاء بني أمية وهو الذي تولى الخلافة في سنة ست وثمانين نُقِلَ الديوان في بلاد العراق من الفارسية الى اللغة العربية وذلك في أيام الحجاج ايضاً ، والذي نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم ،

نقل الدواوين الى العربية

قال محمد بن اسحاق : كان أبو صالح من سبي سجستان ، وكان يكتب لزاد أنْفَرُوخ بن بيري كاتب الحجاج يخط بين يديه بالفارسية والعربية ، خَفَّ على قلب الحجاج ، فقال صالح لزاد أنْفَرُوخ إنك أنت سَبَبِي الى الأمير وأراه قد استخفني ، ولا آمن أن يقدمني عليك وأن تسقط منزلتك ، فقال لا تظن ذلك هو الى أحوج مني اليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيري ، فقال والله لو شئت أن أحول الحساب الى العربية لحولته ، فقال فحول منه أسطراً حتى أرى ففعل فقال له تمارض قمارض ، فبعث الحجاج اليه ثيادورس طبيباً فلم ير به علة وبلغ زاد أنْفَرُوخ ذلك ، فأمره أن يظهر واتفق أن قُتِلَ زاد أنْفَرُوخ في فتنة ابن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله ، فاستكتب الحجاج صالحاً مكانه ، فأعلمه الذي جرى بينه وبين صاحبه في نقل الديوان ، فعزم الحجاج على ذلك وقلده صالحاً فقال له مراد انشاه بن زاد أنْفَرُوخ كيف تصنع بدهويه وشيشويه قال أكتب

(١) سمي قديماً وهو معلم خالد بن يزيد لانه يوجد آخر باسمه هو اصطفن بن باسيل من النقلة

عشرا ونصف عشر، قال فكيف تصنع بويد قال أكتب، وأيضاً قال الويد النيف والزيادة تزداد، فقال له قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية، وبذلت له الفرس مئة ألف درهم على أن يظهر العجز عن نقل الديوان فأبى إلا نقله فنقله، فكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب وكان الحجاج أجله أجلاً في نقل الديوان

وأما الديوان بالشام فكان بالرومية، والذي كان يكتب عليه سرجون بن منصور لمعاوية ابن أبي سفيان ثم منصور بن منصور، ثم نقل إلى العربية في زمن هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بني أمية ولى الخلافة في سنة ست ومئة (١٠٦) وتوفي في سنة خمس وعشرين ومئة (١٢٥ هـ)، والذي نقله أبو ثابت سليمان بن سعد مولى حسين وكان على كتابة الرسائل أيام عبد الملك وقيل إن الديوان نقل في أيام عبد الملك

اتساع دائرة النقل والترجمة

ولما دالت دولة الأمويين وبرز شعاع الدولة العباسية ثابت الهمم (١) من غفلتها وهبت الفطن من سنتها، فكان أول من غنى منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور، كان مع براعته في الفقه وتقدمه في علم الفلسفة وخاصة في علم صناعة النجوم كفاً بها وبأهلها، ولقد عرف في عهد هذه الدولة كثير ممن اشتهر من مهرة النقلة المتفنين والمبرزين في كل علم لاسيما الطب والفلسفة والرياضي، فترجموا كثيراً من كتب الهند وفارس ويونان، فمن هؤلاء عبد الله بن المقفع الخطيب الفارسي كاتب أبي جعفر المنصور وقد ترجم كثيراً من كتب أرسطاطاليس المنطقية وكتاب كليمه ودمنة الهندي، ونقل محمد بن إبراهيم الفزارى كتب الهيئة والفلك من الهندية إلى العربية وخاصة كتاب السند هند، وجورجيس ابن بختيشوع، وعيسى بن شهلاثا، وقد نقلوا من اليونانية إلى العربية، ونوبخت المنجم نقل كتب يونان في علم حركات النجوم، وفي زمن المهدي بن المنصور ثالث الخلفاء العباسيين اشتهر توفيل بن توما المنجم، وأبو قریش طيب المهدي المعروف بعيسى الصيدلاني، وبختيشوع بن جيورجيس بن

بختيشوع في زمن هرون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين ، وأبناء جبريل
ويوحنا بن ماسويه وقد ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وصالح
ابن بهلة

ولما أفضيت الخلافة الى عبدالله المأمون بن هرون الرشيد سابع الخلفاء
العباسيين في حدود المائتين طمحت (١) نفسه الفاضلة الى ادراك الحكمة ، وسمت
به همته الشريفة الى الاشراف على العلوم الفلسفية ، فخذ يتمم ما بدأ به جده
المنصور فاقبل (٢) على طلب العلم في مواضعه ، واستخرجه من معادنه بفضل همته
الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فدخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطرة ، وسألهم
صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب أفلاطون
وأرسطاطليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبطليموس وغيرهم من الفلاسفة
فاستجاد لها مهرة الترجمة وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن
ثم حض الناس على قراءتها ورغبتهم في تعليمها ، فنفتت سوق العلم في زمانه ،
وقامت دولة الحكمة في عصره ، وتنافس أولو النباهة في العلوم ، لما كانوا يرون
من اختصاصه لمنتحليها ، واختصاصه متقليديها فكان يخلو بهم ويأنس بمنظرهم ،
ويلتذ بمذاكرتهم ، فينالون عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية ، وكذلك
كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار

(١) طبقات الامم

(٢) ذكر محمد بن اسحاق في الفهرست احد الاسباب التي من أجلها كثرت كتب الفلسفة
وغيرها من العلوم ، ذلك أن المأمون رأى في منامه كأن رجلا أبيض اللون مشربا حمرية واسع
الجبهة مقرون الحواجب الرأس أشهل العينين حسن الشمائل جالس على سريره . قال
المأمون وكأني بين يديه قد ملئت له هيبه . فقلت من أنت قال انا ارسطاطاليس
فسررت به وقلت أيها الحكيم أسألك ، قال سل ، قلت ما الحسن ، قال ما حسن في الفعل ،
قلت ثم ماذا قال ما حسن في الشرع ، قلت ثم ماذا قال ما حسن عند الجمهور ، قلت ثم ماذا قال
ثم لا ثم ، وفي روايه أخرى قلت زدني ، قال من يضحك في الذهب فليكن عندك كالذهب ، وعليك
بالتوحيد فكان هذا المنام من أوكد الاسباب في اخراج الكتب : فان المأمون كان بينه وبين
ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون ، فيكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في
انفاذ مامن مختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع
فأخرج المأمون لذلك جماعة فاختدوا مما وجدوا واختاروا . فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل

والمعرفة بالشعر والنسب، فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعليم في أيامه كثيراً من
أجزاء الفلسفة، وسنوا لمن بعدهم منهاج الطب، ومهدوا أصول الأدب، حتى
كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومية أيلم اكتمالها وزمان اجتماع شملها،
وقد اشتهر في هذا العصر عصر النور والمعرفة مالا يحصى عدداً من أجلة العلماء
والمترجمين والنقلة في سائر العلوم، حتى كادت اللغة العربية لا يخلوا منها علم
معروف لهذا الوقت، ومن هؤلاء النقلة والمترجمين جماعة أخرجهم الخليفة المأمون
منهم الحجاج بن مطر نقل المجسطي وأقليدس، وابن البطريق، وساما صاحب
بيت الحكمة ببغداد، ويوحنا بن ماسويه، ومن نفذ الى بلاد الروم للنقل بنو موسى
ابن شاكر المنجم الثلاثة محمد وأحمد والحسن وهم الذين قاسوا دورة كرة الأرض
(محيط الكرة الأرضية) وقدروا الدرجة الأرضية، وقد أُنذوا الى بلد الروم حنين بن
اسحاق وغيره ليأتيهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة
والموسيقى والأرتماطيقى والطب، وكانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن
اسحاق، وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّة وغيرهم في الشهر نحو ٥٠٠ دينار للنقل
والملازمة، ومن حمل معه شيئاً من بلد الروم لنقله فُسُطا بن لوقا البعلبكي، ومن النقلة
أبو زكريا يحيى بن البطريق وكان في جملة الحسن بن سهل، وابن ناعمة عبد المسيح
ابن عبد الله الحمصي، وسلام الأبرش نقل السماع الطبيعي، وحبيب بن بحر
مطران الموصل فسر للمأمون عدة كتب، وهلال بن هلال الحمصي،
وبسيل المطران، وأبو نوح بن الصلت، واسطاث، وجيرون وصليبا واصطفن بن
باسيل، وابن رابطة، وعيسى بن نوح، وأبو اسحاق قويرى وأيوب الرهاوى،
وأيوب وسمعان فسرا زيح بطلميوس لمحمد بن خالد بن يحيى البرمكي، وباسيل بن
شهدى الكرخي نقل كتاب الأجنة لبقرط، وأبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب
نقل كتاب أفلاطون في أداب الصبيان، وأيوب بن القاسم الرقيّ نقل كتاب
ايساغوجي، ومرّاحي ينقل بين يدي على بن ابراهيم الدهسكي، ودار يشوع، وعيسى
بن يحيى الدمشقي، وابراهيم بن الصلت، ويحيى بن عدي التفليسي وسلمويه وزكريا
الطيفوري وسرجيوس الراس عيني اليعقوبي وماسرجويه وعيسى بن ماسرجويه

وبختيشوع بن جبريل وجبريل بن بختيشوع ، واسحاق بن حنين بن اسحاق
وسابور بن سهل وأبو بشر متى ، وأبو الحسن الحراني وأبو الخير بن سوار وأبو
الوفا البزجاني ويوحنا بن القس وابراهيم بن بكر وعيسى بن زرعلاويوسف الراهب
وعيسى النفيسي وسنان بن ثابت بن قره وابن بهلول وأبو الفرج الطيب
وغريغوريوس أبو الفرج بن العبري

ومن اشتهر من هؤلاء الفحول في الفنون المختلفة أبو يوسف يعقوب بن
اسحاق الكندي فيلسوف العرب وابن أحد ملوكها شريف الاصل بصرياً
كان أبودأمرأ على الكوفة للمهدي والرشيد ، ولم يكن في الاسلام من اشتهر
عند الناس بمعانة الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غيرهُ ، وله مؤلفات وتراجم عديدة
في علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والأرثماطيق والموسيقى والنجوم
وغيرها من الفنون وقد أربت مؤلفاته على المائتين وهؤلاء كانت أكثر نقولهم من
اليونانية أو السريانية الى العربية

وآل نوبخت وموسى ويوسف ابنا خالد ، وأبو الحسن علي بن زياد التميمي
نقل زيج الشهريار ، والحسن بن سهل المنجم ، والبلاذري أحمد بن يحيى ، وجبله بن
سالم واسحاق بن يزيد نقل كتاب سيرة انفرس المسمى اختصار نامه ومحمد بن الجهم
البرمكي ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكردي ، وزادويه بن شاهويه
الاصفهاني ، ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني وبهرام بن مردان شاه موبند مدينة
فيسابور ، وعمر بن الفرخان ، وكان هؤلاء ينقلون من الفارسية الى العربية
ومنك الهندى ، وابن دهن الهندى ، وكان اليه بهارستان البرامكة وهؤلاء
نقلوا الى العربى من اللسان الهندى

وابن وحشية نقل من النبطية الى العربية

وبلى هؤلاء طبقة أخرى من المترجمين والنقلة والعلماء والمفسرين كثيرة
العدد لا يمكن استيعابها في مثل هذا الكتاب ، فهؤلاء قد وضعوا من المصطلحات
والمسميات ما لم يجدوا بداً من وضعها وتعريبها وأدجوها في اللغة وهى باقية عياناً
تسهل رؤيتها في مختلف المصنفات المنقولة ومن شاء الاطلاع على سر النهضة العربية

ومعرفة ما نقل اليها بالتفريد والتبويض فليطالع الكتب الآتية : كتاب الفهرست لابن النديم ، كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، وتاريخ الحسكاه لابن القفطي ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده

ومن الكتب الافرنجية

Histoire de la médecine arabe par le Dr. Lucien Leclerc, Paris 1876

تاريخ الطب عند العرب تأليف لوقيان لقلرك طبع باريس سنة ١٨٧٦

Geschichte der arabischen aerzte und naturforcher, von Ferdinand Wüstenfeld, Göttingen 1840

تاريخ الأطباء والطبيين العرب تأليف فردينان وستنفلد طبع غوتنجن

سنة ١٨٤٠

De Auctorum graecorum, versionibus et commentarius, syriacis, arabicis, armeniacis, persique. Scripsit Joannes Georgius Wenrich. Lipsiae 1842

المؤلفات اليونانية التي نقلت أو فُسرت باللغات السريانية والعربية والارمنية والفارسية تأليف يونس جيورجيوس، ونريش طبع في ليبسيك سنة ١٨٤٢

Die Arabischen uebersetzungen aus dem griechischen von M. Steinschneider Leipzig 1843

النقول العربية من اللغة اليونانية تأليف اشتاينشneider طبع ليبسيك سنة ١٨٩٣
وغير هذه من الكتب كثير غير المواضيع والمقالات المتفرقة في المجلات العلمية كالمجلة الآسيوية الفرنسية (journal asiatique) والمجلة الألمانية الشرقية (Zeitschrift der deutschen Morgenländischer geselle schaft.) الخ

٢٢ — باب في الدلالة الكتابية على الحروف الأعجمية

قدمنا ان اختلاط العرب بالأُمم المجاورة واقتباسهم بعض الألفاظ الضرورية التي يستلزمها التبادل التجاري والتعارف السياسي انما هو قديم ، وأنهم كانوا يأخذون الكلمات فينطقونها بحسب حروف لغتهم على اختلاف الأُمم في النطق والحروف ، ولم يكونوا يستعملون النطق بحروف الأُمم الأخرى ، وحروفهم التي نطقوا بها ثمانية وعشرون حرفاً ، وحروف الأُمم الأخرى قد تزيد أو تنقص عن ذلك ، ومع أنهم اقتبسوا كثيراً من الأسماء الجنسية والعلمية فلم نر في كتابات العرب الأقدمين التي عثر عليها الاثريون فوق الأحجار من مختلف نواحي جزيرة العرب ما يدل على أنهم اتخذوا حروفاً لم تنطق بها ألسنتهم ، ولا دلّوا عليها بعلامات تميزها عن مثيلاتها في لغتهم ، كذلك لم نعر على ما يدل على هذا الاقتباس في كتبهم ، وانما عثرنا على العبارة الآتية في مقدمة كتاب العبر قال :

اعلم أن الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد هي كيفيات الأصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت ، بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الحنك والحلق والأضراس ، وبقرع الشفتين أيضاً ، فتتغير كيفيات الأصوات بتغير ذلك القرع ، وتجيء الحروف متميزة في السمع ، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر ، وليست الأُمم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف ، فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى ، والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت ، ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا ، وفي لغتنا أيضاً حروف ليست في لغتهم ، وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ، ثم أن أهل الكتاب من العرب اصطالحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها ، كوضع ألفباء وج وراء وطاء الى آخر الثمانية والعشرين ، واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان ، وربما يرسمه

بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يكتنفه من لغتنا قبله أو بعده ، وليس ذلك بكاف في الدلالة ، بل هو تغيير في الحروف من أصله ، ولما كان كتابنا مشتملا على البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في بعض أسمائهم أو بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا ، اضطررنا الى بيانه ، ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لأنه عندنا غير واف بالدلالة عليه ، فأصطلحت في كتابي هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ، ليتوسط القارئ بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديته ، وانما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الاشهاد كالصراط في قراءة خلف ، فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاي ، فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ، ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين Bologguin ، فأضعها كافاً وأنقطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل ، أو بنقطة القاف واحدة من فوق ، أو ثنتين ، فيدل ذلك على أنه متوسط بين الكاف والجيم أو القاف ، وهذا الحرف أكثر ما يجيء في لغة البربر ، وما جاء من غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعلم القارئ أنه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ، ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لكننا قد صرفناه عن مخرجه الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم »^١

على أننا لم نر لذلك مثيلا في المخطوطات العديدة على اختلاف أزمانها والتي تيسر لنا الاطلاع عليها ، واننا قد نظرنا في كتب القراءات ورسم المصاحف فلم

(١) قال دوسلان De Slane ناقل مقدمة بن خلدون الى الافرنسية انه رأى تطبيق قاعدة بن خلدون هذه في بعض نسخ مخطوطة من تاريخ البربر ، ثم أغفل النسخ هذه القاعدة والنسخة المطبوعة من هذا السفر خالية من هذا الاصطلاح وان كان لم يغفلها هو في الترجمة الفرنسية

تر فيها ما يفيد وجود رسم خاص لحروف خاصة يختلف نطقها عن نطق الحروف العربية تبعاً لاختلاف القراءات الخاصة ببعض الآيات القرآنية سوى ما ذكره ابن خلدون من الاشارات ، ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض اللغات الشرقية التي اتخذت الحروف العربية رسماً لمنطق حروفها مثل اللغات الفارسية والتركية والأردية والمالية (لغة المالاي) وغيرها من لغات آسيا قد أوجدت فيها صوراً جديدة من نفس الحروف العربية لبعض حروف لغتها التي لا ينطق بها لسان العرب وقد اصطلاح الفرس والتركي على خمس صور لخمس حروف غير موجودة في اللغة العربية ، وإنما قد توجد في لهجات بعض قبائل العرب ، وهذه هي الحروف

الباء (١) المشددة المشوبة بالفاء (ب P) وتحدث بشدة قوى للشفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط بعنف وتقع عند قولهم بيروزي

وفاء تكاد تشبه الباء (V) وتقع في لغة الفرس عند قولهم فرندي تفارق الباء لانه ليس فيها حبس تام، وتنفارق الفاء بأن تضيق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر وضغط الهواء أشد حتى يكاد أن يحدث بسببه في باطن الشفة اهتزاز ومنها الحرف الذي ينطق به في أول البئر بالفارسية وهو « جا » (تش tch)

وهذه الجيم يفعلها اطباق من حروف اللسان أكثر وأشد وضغط للهواء عند القلع أقوى ونسبة الجيم العربية الى هذه نسبة الكاف غير العربية الى الكاف العربية ومنها الكاف المشوبة بالجيم ك = ج — G — ch

والزاي الشينية (ز = ش = J) شبيهة في اللغة الفارسية عند قولهم « زد » وهي شين لا تقوى ولكنها تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان والاستعانة بخلل الأسنان وقد اصطلاح بعض العلماء العصريين على بعض اشارات قريبة من الشكل العربي توضع فوق الكلمة العربية أو تحتها للدلالة بها على منطق بعض الحروف التي توجد في اللغات الأعجمية (الأورفية) ولا توجد في اللغة العربية ومن هؤلاء المرحوم حفي ناصف بك وقد ذكرها في كتابه تاريخ الأدب والفاضل صاحب العظوفة ادريس راغب بك أفندي وقد أطلعني على طريقته في كراسة مهياة للطبع ،

ولا حاجة لى بذكرها لأننى من المحافظين على اللغة ومنطقها المتشيعين للتعريب
والجربى على الأسلوب العربى الصريح

٢٣ — باب فى النقل من اللغات الأَعْجمية الى العربية

اتسعت دائرة العلوم فى هذا العصر، وتعددت أنواعها، وكثرت مصطلحاتها
ومسمياتها حتى جاوزت الألوف، فبعضها أسماء للمعاني، وبعضها للدوات
والأجناس، فاصبح نقلها الى العربيه عبئاً ثقيلاً على كاهل العلماء والمشتغلين
بالتحرير والتجوير، وهذه المصطلحات قد وضعت فى لغاتها وضعاً، اشتقاقاً أو
نحتاً من اليونانية أو اللاطينية، وقد اختلفت الأنظار وتحيّرت الأفهام وتعددت
المسالك فى نقل هذه المصطلحات الى اللغة العربية، أترجم ترجمة أو يشتق لها
اشتقاقاً، أو يتجاوزها مجازاً، أو تعرب تعريباً، فهذه المسالك الخمسة ليست
كلها فى مستوى واحد من السهولة أو الصعوبة فى المنفعة أو الضرر، من حيث
العمل بها أو باحداها، ومن حيث نتائجها على اللغة وكيانها، وهى التى خدمها
أهلها بما لم تخدم به لغة غيرها، وحفظوها آلاف السنين سليمة من كل شائبة
نقية الجوهر غضة الالهاب، فهى من هذه الوجهة معجزة المعجزات التى لم تتفق
الآن لغة أخرى من لغات الكون، وعلينا نحن أبناءها الذين ورثوها هكذا،
أن نصونها ونحفظ أمانتها كما ورثناها، حتى نتركها للخلف من بعدنا كما تركها
لنا آباؤنا الأولون، وكما وجبت علينا صيانتها من العبث بها أو التفريط فى سلامتها،
كذلك يجب علينا أن نرقى بها الى مصاف اللغات العامية العصرية الذى وصل
بها أهلها من العجز الى القدرة، حتى تسع لغتنا سيل العلوم المتدفق، وغيث
الفنون المتهر من سماء المدنية الحاضرة، وتكفل موارد مختلف المصطلحات،
ويكون للناطقين بها من سمو المقام والعاملين بها من رفعة الشأن وعلو الكعب فى سائر
العلوم ما لسائر العالم المتحضر، وذلك بامدادها بما هو لازم لها وتحتاج اليه من
مدلولات المكتشفات والاختراعات والمبتدعات العلمية والصناعية الغزيرة
المتزايدة دوماً على مر الأيام، ولنا فى ذلك خمس وجهات نولى وجوها شطرها

واحدة بعد أخرى أو نحوها جميعاً بحسب الضرورة، فلا نلجأ إلى أشدها خطراً إلا بعد أن نكون قد بذلنا الجهد واستوعبنا الفكر في استكناه كل وسيلة قبلها، فإذا عجزنا فالضرورات تبيح المحظورات، وهذه الوجهات أو الوسائل المؤدية للغرض هي بحسب الترتيب المبني على درجة التسامح أو الحظر الترجمة أولاً، فإذا لم يوجد للفظ الأعجمي مقابل عربي فلاشتقاق ثانياً، فيشتق لفظ من كلمة عربية تؤدي معنى المسمى، فإذا عجزنا فالمجاز ثالثاً فيتجاوز للفظ مجازاً بعلاقة في المعنى بين المسمى والمجاز، فإذا حصل العجز ينحت للكلمة لفظ مركب من كلمتين تؤدي معناه مدلول الشيء المسمى، فإذا حصل العجز يعرب اللفظ تعريباً مطابقاً لقواعد اللغة وأصول أقيستها وأوزانها ونطق حروفها حتى يشبه اللفظ العربي الفصيح

٢٤ — باب في القول في الترجمة

يقال قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان، قال الصلاح الصفدي وللتراجمة في النقل طريقان، أحدهما هو أن ينظر إلى كلمة مفردة من الكلمات الأعجمية وما تدل عليه من المعنى فيثبتها، وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه، وهذه الطريقة رديئة لوجهين، أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات الأعجمية، ولهذا يقع في خلال هذا النقل كثير من الألفاظ الأعجمية على حالها، الثاني أن خواص هذا التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات الطريق الثاني في الترجمة هو أن يأتي الجملة فيحصل معناها في ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أم خالفها، وهذا الطريق أجود.

هذا هو رأي الصلاح الصفدي في النقل ولكنه ذهب في الرأيين إلى النهاية وأرى التوسط بينهما أفضل، وهو أن يتفهم الناقل معنى الكلمات منفردة أولاً ثم يحصل معنى الجملة في ذهنه ويرتب الترجمة حسب الأسلوب العربي في الكتابة

دون أن يترك لفظاً أو اصطلاحاً قد تكون له صفة ما في الموضوع ، فلا يكون قد ترجم ترجمة حرفية تنبؤ عن الذوق العربي ، ولا تصرف فيها فيهملاً ألفاظاً قد يتغير باهمالها مجرى الكلام كما يريد مؤلفه ، وحروف المعاني والأفعال الأعجمية وأسماء المعاني كلها تترجم الا اذا جرت مجرى العام أو كانت جزءاً من العلم فهي والأعلام كلها تعرب ، وأسماء الذوات تترجم الا اذا لم يوجد لها مقابل فتعرب

٢٥ - باب في القول في الاشتقاق

اذا لم يوجد للكلمة الأعجمية مقابل في العربية يشتق لها لفظ عربي ، وفي اللغة اشتقاق الشيء بنيانه من المرتجل ، واشتقاق الكلام الأخذ فيه يميناً وشمالاً ، واشتقاق الحرف أخذه منه ، والاشتقاق قياس في لغة العرب ، قال أحمد بن فارس أجمع أهل اللغة الا من شذ عنهم أن لغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر تقول العرب للدرع جنة وأجنه الليل وهذا جنين أي هو في بطن أمه أو مقبور ، وأن الانس من الظهور يقولون آنت الشيء أبصرته ، وعلى هذا سائر كلام العرب

والاشتقاق في الاصطلاح هو أن تأخذ من أصل فرعاً يوافق في الحروف وتجعله دالاً على معنى يوافق معناه ، وقال في شرح التسهيل الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى على اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفت حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذر من حذر وهكذا من تقلب تصارييف الكلمة ، وهو الاشتقاق الأصغر المحتج به في اللغة وأما الاكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة مثل قول ، وقيل ، ولقي ، لقو وتقاليتها ، وهذا ليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب .

وقال ابن جني : الاشتقاق عندي على ضربين كبير وصغير فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن

وحرف وزيادة حرف كفاخر من الفخار نقصت ألف وزادت ألف وفتحة
وفي الارتشاف : الأصل في الاشتقاق أن يكون من المصادر ، وأصدق ما
يكون في الأفعال المزيّدة والصفات منها وأسماء المصادر والزمان والمكان. ويغلب
في العلم ، ويقل في أسماء الأجناس كغراب يمكن أن يشتق من الاغتراب وجراد
من الجرد ، والأعلام غالبها منقول بخلاف أسماء الأجناس ، فلذلك قل أن يشتق
اسم جنس لانه أصل مرتجل ، فان صح فيه اشتقاق حمل عليه كغراب
من الاغتراب

وقد اشتقوا حديثاً مستشفى مكان الشفاء ومتحفاً مكان التحف ومصرفاً
مكان الصيرفي وملعباً مكان اللعب الخ

اما الاشتقاق من المعرب فقد سئل فيه بعض العلماء عما عربته العرب من
اللغات واستعملته في كلامها ، هل يعطى حكم كلامها فيشتق ويشتق منه ، فأجاب
بما نصه : ما عربته العرب من اللغات من فارسي ورومي وحشي وغيرها وأدخلته
في كلامها على ضربين ، أحدهما أسماء الأجناس كالفرنند والابريسم واللجام
والآجر والباذق والقسطاس والاستبرق ، والثاني ما كان في تلك اللغات علماً
فأجروه على علميته كما كان ، لكنهم غيروا لفظه وقرّبوه من ألفاظهم وربما أحقوه
بأبنيتهم وربما لم يلحقوه ، ويشاركه الضرب الاول في هذا الحكم لا في العلمية
الا في أنه ينقل كما ينقل العربي . وهذا الثاني هو المعتقد بعجمته في منع الصرف
بخلاف الاول وذلك كإبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء الا ما
استثنى منها من العربي كهود وصالح ومحمد صلعم ، وغير الأنبياء كبريوز وتكسين
ورُسْتَم وهَرْمَز ، وكأسماء البلدان التي هي غير عربية كإصطخر ومرو وبلخ
وسمرقند وقنْدُهار وخُرَّاسان وكِرْمَان وكُوْزْكُنَان وغير ذلك ، فما كان من
الضرب الاول فأشرف أحواله أن يجري عليه حكم العربي فلا يتجاوز به ، فقول
السائل يشتق جوابه المنع لأنه لا يخلو أن يشتق من لفظ عربي أو عجمي مثله ،
ومحال أن يشتق العجمي من العربي أو العربي منه لان اللغات لا تشتق الواحدة
منها من الأخرى ، وانما يشتق من اللغة الواحدة بعضها من بعض ، لأن الاشتقاق

نتاج وتوليد ، ومحال أن تلد المرأة الا انساناً ، وقول السائل ويشْتَق منه فقد يجري على هذا الضرب المجري مجري العربي كثير من الأحكام الجارية على العربي ، من تصرف فيه واشتقاق منه كاللجام ، فانه معرب من لغام وقد جمع على الجُم ككتب وصغر على لجيم ، وأتى الفعل منه بمصدر وهو اللجام وقد ألجمه وهو ملجَم وغير ذلك ، وجملة الجواب أن الأعجمية لا تشتق أى لا يحكم عليها أنها مشتقة وان اشتق من لفظها ، فاذا وافق لفظ أعجمي لفظاً عربياً في حروف فلا ترين أحدهما مأخوذاً من الآخر كاسحاق ويعقوب فليس من لفظ أسحقه الله اسحاقاً أى أبعدده ولا من اليعقوب اسم الطائر وكذا سائر ما وقع في الاعجمي موافقاً لفظ العربي

على هذا المثال جرى الأقدمون في الاشتقاق في الاسم المعرب ، فقالوا هندس ودرهم وخندق وقرطس . وجرى المعاصرون في اشتقاق كهرب وكهربائية من الكهزباء ومغنط ومغناطيسيه من المغناطيس أو المغنطيس أو المغنيطس ، ويريدون اشتقاق أكسد من المعرب أكسيد بمعنى الحامض

على أن أقيسة الاشتقاق هي معلومة في اللغة وليس لنا أن نتعدها الى ما ليس له قياس أو الى ما لا يشتق منه كما نبه اليه أئمة اللغة ، قال أحمد بن فارس . وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ، ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً بقيسه الآن نحن

٢٦ - باب القول في المجاز

اذ لم يتم التوفيق في النقل الى ايجاد لفظ تترجم به الكلمة الأعجمية أو الى أن تشتق لها كلمة تقابلها في المعنى يرجع الى المجاز الذي هو مقابل للحقيقة في وضع تلك الكلمة العربية

والمجاز كما قال أحمد بن فارس مأخوذ من جاز يجوز اذا استثنى ماضياً ، تقول جاز بنا فلان ، وجاز علينا فارس ، هذا هو الأصل ، ثم تقول يجوز أن تفعل

كذا أى ينفذ ولا يرد ولا يمنع ، وتقول عندنا دراهم وضح وازنة وأخرى
تجوز جواز الوازنة ، أى أن هذه وإن لم تكن وازنة فهي تجوز مجازها ، وجوازها
لقرينها منها ، فهذا تأويل قولنا « مجاز » أى أن الكلام الحقيقى يمضى إسنته لا
يُعترض عليه

قال أبو حيان فى الارتشاف (١) « وأما صاحب النهاية وهو أبو المعالى الموصلى
ابن الخباز فذكر رسماً للحقيقة « وهو لفظ يستعمل لشيء وضع الواضع مثله
لمثله لا عينه لعينه ، كالأسد لليث ، ثم قال وعلامتها سبق الفهم الى معناها ،
وقال « المجاز لفظ يستعمل لشيء بينه وبين الحقيقة اتصال وذلك كاتصال « التشبيه »
كاستعمال الأسد للشجاع ، واتصال « السبب » كاستعمال السحاب للنبات ،
واتصال « البعضية » كاستعمال الخافر لذى الخافر ، واتصال « الكلية » كاستعمال
العالم لبعضه ، أو اتصال « العموم » كاستعمال الحجر للياقوت ، أو اتصال « الخصوص »
كاستعمال السيف للسلاح ، أو اتصال « الاضافة » كاستعمال القرية لأهلها ،
أو اتصال « الاشتمال » كاستعمال الشيء لما هو مشتمل عليه نحو الغائط للقدرة ،
والخيل للفرسان ، والسلاح للمسلح ، والثوب للآبس فى قوله سلب زيد ثوبه ،
وليس فى الدار الا الأوارى ، ولم ينج فلان فى الحرب الا فرسه .

ولا يدخل المجاز بالذات الا على أسماء الأجناس ، وأما أسماء الاعلام المترجلة
فلا مجاز فيها ، لأنها لم تنقل لعلاقة ، فيرى من ذلك الباب رجب صدر اللغة
العربية وسعة حيلتها فى وضع الأسماء لمداولاتها حتى تكاد تكون حقيقة لا مجازاً ،
وبذلك دفع كثير من الخرج فى اللغة عن النقلة والمترجمين ، وعلى هذا النسق
وضع المعاصرون فى أيامنا اسم الدارعة أو المدرعة للسفينة المعلومة وغواصة كذلك
وطيارة وسيارة للأوتوموبيل وحافلة للأمنيبوس الخ

٢٧ — باب في القول في النحت

الوجه الرابع من وجوه نقل الكلمات الاعجمية التي لا مقابل لها الى
العربية النحت

والنحت في اللغة النشر والقشر ، والنحت نحت النجار الخشب وَيَنْحِتُهَا
وَيَنْحِتُهَا

والعرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما
خشبة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك مثل حيعل من قوله حي على
ومثل قول العرب للرجل الشديد ضِبْطَرٌ من ضَبَطَ وضَبَرَ وصَهْطَلَق من صَهَلَ
وَوَطَلَقَ وَصَلَدَم من الصلد والصدَم ، والمنحوت من كلام العرب الذي وقع في
اللغة كثير مثل شَقَحْطَب من شق حطب ، والبسمة اذا أ كثر من قول بسم الله ،
والهيللة اذا أ كثر من قول لا اله الا الله ، والحوقة اذا أ كثر من قول لا حول
ولا قوة الا بالله ، والحمدلة اذا أ كثر من قول الحمد لله ، والجعفة أى جعلت
فداك ، والسبحلة من سبحان الله ، والحيلة من قول المؤذن حي على الصلاة حي
على الفلاح ، والطلبة من قول القائل أطال الله بقاءك ، والدمعزة من قولهم أدام
الله عزاءك ، وحسبل من قول القائل حسبي الله ، والمشكنة من قولهم ماشاء الله كان ،
والسمعة من قولهم سلام عليكم ، ومن النحت المنسوب عَجْمَضِي وهو ضرب من
التمر وهما اسمان جعلتا اسما واحداً وهما عجم أى النوى وضاجم اسم واد معروف ،
وعبشمى نسبة الى عبد شمس ، وعبدري نسبة الى عبد الدار ، وعبقسى نسبة
الى عبد القيس ، ومرقسى فى امرئ القيس ، وتيملى فى تيم الله ، وقالوا فى النسبة
الى الشافعى وأبى حنيفة شَفْعَنِي ، وإلى أبى حنيفة مع المعتزلة حَنْفَلْتِي ، وكذلك
قالوا من أنواع النحت بلحارث لبني الحارث ، وبلهجوم لبني الهجوم ، وبلغنبر فى
بني الغنبر للتخفيف لقرب مخرجى النون واللام وقالوا خراطين للدود من خراء
الطين .

٢٨ — باب القول في التعريب

التعريب والاعراب في اللغة معناهما واحد وهو الابانة والافصاح يقال أعرب عن لسانه وعرب أبان وأفصح (١) ، وتعريب الاسم الأعجمي أن تنفوه به العرب على مناهجها تقول عربته العرب وأعربته أيضاً (٢) ، والمعرب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها

قال المرزوقي في شرح الفصيح : المعربات ما كان منها بناؤه موافقاً لأبنية كلام العرب يحمل عليها ، وما خالفت أبنيتهم منها يراعى ما كان الفهم له أكثر فيختار ، وربما اتفق في الاسم الواحد عدة لغات (٣) ، وقال سلامة الأنباري في شرح المقامات ، وكثيراً ما تغير العرب الأسماء الأعجمية إذا استعملتها

والأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام ، قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكم أبنيتها في اعتبار الأصل والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو درهم وبهرج ، وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعتبر فيه ما يعتبر في القسم الذي قبله نحو آجر وسيسنبر ، وقسم تركوه غير مغير ، فإلم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يعد منها ، وما ألحقوه بها عد منها ، مثال الأول خراسان لا يثبت به فعالان ، ومثال الثاني خرّم ألحق بسلم وكرّم ألحق بقمقم (٤)

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان (٥)

وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير مما لا يجده جاحد ولا يخالف فيه مخالف ، وكذلك في القرآن الشريف ، إذ سقطت إلى العرب تلك الكلمات فاعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فهو صادق

(١) اللسان (٢) تاج اللغة (٣) المزهرة (٤) الارتشاف (٥) الاقتان في علوم القرآن

فهي عجمية باعتبار الأصل عربية باعتبار الحال
والمعرب يطلق عليه دخيل

في دلائل الاسم المعرب

يعرف الاسم المعرب بالوجوه الآتية : - أحدها النقل بأن ينقل ذلك أحد
أئمة اللغة ، والثاني خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو ابريسم فإن مثل هذا
الوزن مفعود في أبنية الأسماء في اللسان العربي ، والثالث أن يكون أوله نون ثم
راء نحو نرجس ، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية ، الرابع أن يكون آخره زاي
بعد دال نحو مهندز ، فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية ، الخامس أن يجتمع فيه الصاد
والجيم نحو الصولجان والخص ، السادس أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق ،
السابع أن يكون خماسياً ورباعياً عارياً عن حروف الزلاقة ، وهي الباء والراء والفاء
واللام والميم والنون ، فانه متى كان عربياً فلا بد أن يكون فيه شيء منها نحو
سفرجل وقد عمل وقرطعب أو جحمرش (قال السيوطي هذا ما جمعه أبو حيان في
شرح التسهيل)

وقال الفارابي في ديوان الأدب مثل هذا القول ، وزاد عليه أن الجيم والتاء
لا يجتمعان في كلمة من غير حرف زلّقي ، والجيم والطاء لا يجتمعان في كلمة واحدة
ولهذا كان الطاجن والطجين مولدين

وقال البطليوسي في شرح فصيح ثعلب ، لا يوجد في كلام العرب دال بعدها
ذال الاقليل ، ولذلك أبي البصريون أن يقولوا بغداداً باهمال الدال الاولى
واعجام الثانية

وقال ابن سيده في المحكم ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية
محضة ، الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات

فأما أمثلة المعرب فأحسنها ما بنى من الحروف المتباعدة الخارج ، وأخف
الحروف حروف الزلاقة ، وهي ستة ، ثلاثة من طرف اللسان وهي الراء والنون
واللام ، وثلاثة من الشفتين وهي الفاء والباء والميم ، ولهذا لا يخلو الرباعي والخماسي

منها ، الا ما كان من عسجد فان السين أشبهت النون للصغير الذي فيها والغنة التي في النون . فاذا جاءك مثال خماسي أو رباعي بغير حرف أو حرفين من حروف الزلاقة فاعلم أنه ليس من كلامهم (١) وقال الفرّاء يبنى الأسم الفارسي أي بناء كان اذا لم يخرج عن أبنية العرب

هذا حال المغرب في تركيبه واعتباره وخصائصه وحكمه . والمغرب هذا كثير في كلام العرب وفي علوم العرب قديما وحديثا . والاقتباس عام بين اللغات لا تستغنى عنه أي لغة ما دام العلم مشاعا بين الأمم ، وما دمنّا على أبواب العلم وما أوتينا منه الا القليل فهو دائما في نمو وازدياد ، ولا بد أن تزداد معه المصطلحات والمسميات فالتعريب اذا ضروري لحياة العلم ، ومتى كانت القيود الموضوعية له هي كما بينا وبنيته بعد أيضا فلا خوف منه على كيان اللغة ، فانما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها ، لا بوضع مفردات غريبة عنها قد التجأت اليها فكسيت بكسائها وظليت بظلائها حتى أصبحت منها وعليها

وكتب العلوم في اللغة العربية ككتب الفلك والطب والنبات والرياضي والطبيعي والأحجار والتاريخ والجغرافيا والسياسة وتدبير الملك ومصطلح الدواوين مشحونة بالمغرب والدخيل ، مما حدث كثرت به بعض علماء المستشرقين الى وضع ذيول للمعاجم العربية ، حوت ما بطنّت أسفارها وما تفرّق في كنوز علومها من كل غريب عنها دخيل فيها ، كذيل المعاجم العربية للمستشرق الكبير راينهارت دوزي

1 Supplément aux dictionnaires arabes, par R. Dozy, Leyde 1818.

ووضع كذلك كثير من المصنفات الخاصة بالدخيل على اللغة العربية مثل
١- كتاب الكلمات الآرامية الدخيلة على العربية تأليف سيجموند أفرنكل

(١) — كتاب المغرب من الكلام الأعجمي للجو البقي

1 Die aramaïschen fremdwörter im arabischen, von Siegmund Fraenkel, Leiden 1886.

٢ - في الكلمات الدخيلة في القرآن تصنيف الدكتور رودلف أدفوراك

2 Ueber die fremdwörter im korân, von Dr. Rudolf Dwôrak, Wien 1885.

٣ - في بعض ألفاظ الشعر العربي القديم والقرآن طبع في ليدن

3 De Vocabulis in antiquis arabum carminibus et in corano peregrinis, publice defendet Sigismundus Frankel, Lugdini Batavorum 1880.

وكذلك وضع علماء العرب المصنفات المختلفة في الدخيل والمغرب نذكر منها
١ كتاب المغرب من الكلام الأعجمي تأليف الشيخ الأجل الامام الأوحـ
العالم أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي طبع في ليبسيك
وفي مصر

٢ كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي طبع
في مصر

٣ رسالة في تعريب الألفاظ الفارسية لابن كمال باشا طبعت في مصر

٤ كتاب المعرب من القرآن للشيخ حمزة فتح الله طبع في مصر

٥ كتاب التقريب لأصول التعريب للشيخ طاهر بن صالح الجزائري طبع مصر

٦ كتاب الاشتقاق والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المغربي طبع مصر

٧ نبذة في التعريب مقدمة لالياذه أو ميرس ترجمة سليمان البستاني

٨ وفي كتاب الاتقان في علوم القرآن للسيوطي فصل كبير فيما وقع في القرآن

بغير لغة العرب طبع مصر

٩ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدنى شير طبع في بيروت

ولم يقتصر الأمر عند مستشرق أوروا على جمع المغرب والدخيل على العربية
بل عمدوا كذلك الى ذكر الدخيل من العربية أو الفارسية والتركية على لغاتهم
والمصنفات في هذا النوع كثيرة جداً نذكر بعضها فـ

١ — كتاب الأَب لا مَنَص في الألفاظ العربية والفارسية والتركية الدخيلة

على الفرنسية

1 Rémarques sur les mots français dérivés de l'arabe, par Henri Lammens.

٢ — ذيل معجم ليتريه تأليف مرسل دفيك

2 Supplément du dictionnaire de la langue Française, par Marcel Devic, Paris 1881.

٣ — معجم دوزى في الكلمات الاسبانية والبرتغالية المقتبسة من العربية

3 Glossaire des mots espagnols, portugais dérivés de l'arabe, Leyde 1869.

٤ — الألفاظ السامية الدخيلة في اليونانية تأليف هنريش ليفي طبع برلين

سنة ١٨٩٥

4 Die Semitischen fremdwörter im Griechichen, von Dr. Heinrich Lewy, Berlin 1895.

٥ — معجم تصريف الكلمات الافرنسية المأخوذة عن العربية والفارسية

والتركية تأليف فيهان طبع باريس سنة ١٨٦٦

5 Dictionnaire étymologique des mots de la langue française dérivés de l'arabe, du Persan ou du Turc, par A. P. Pihan, Paris 1866.

٦ — في بعض الكلمات الرومانية التي هي من أصل عربي أو تركي أو فارسي

أو عربي تأليف غورغي فوفسكو قيوقانل طبع باريس سنة ١٩١٧

6 Quelques mots roumains d'origine arabe, turque, persane et hebraïque par Gheorghe Popesco Ciócanel, Paris 1907.

٧ — نبذة في أصول الالفاظ السامية كالعربية والسريانية التي دخلت في

اللغات الايتالية والاسبانية والافرنسية والانكليزية واليونانية واللاتينية وبالعكس

تأليف القس طوبيا العيسى الحلبي اللبناني طبع رومة سنة ١٩٠٩

7 Ethymologie semitische, Roma 1909.

فصل في حكم التعريب

فالتعريب هو آخر ما يلتجأ اليه في النقل عند مالا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الأعجمية أو يشتق منها اسم أو فعل أو يتجاوز منها مجاز أو ينحت منها لفظ ، فحكم الناقل هنا حكم المضطر يركب الصعب من الأمور ولا ضير عليه وقتئذ

واللفظ المعرب يتبع قواعد التعريب في بنائه وتركيبه سواء أشبه العربي من كل وجه ، أو حفظ ما يدل على أعجميته

والمترجم تعترضه في بعض الاحيان من المصاعب ما يحير الفكر ، فقد يصادفه لفظان أعجميان أحدهما يوناني الأصل والثاني لاطيني وكلاهما متحدان في المعنى الأصلي ولكن مدلولاهما مختلفان ، مثل كلمتي thyrosin و thyrosis هما بمعنى الجبن والجبنية باليونانية وتطلقان على مادة منعقدة ناشئة عن انحلال المواد الأولية proteine وكلمتي Caseation, Caseine هما لاطينيتان بمعنى الجبن والتجبن وتطلقان على نوع زلال هو أهم عنصر أولى في اللبن ترسبه الأحماض والانفحة ، فالمدلولان مختلفان والكلمات متحدة في المعنى الأصلي لنص الكلمة كأن واضعها ضاقت بهم الحيل لايجاد ألفاظ لمكتشفاتهم فعمدوا الى ذلك فما دام النطق مختلفاً والصورة غير الصورة فالالتباس مدفوع ، فلو أراد مريد الترجمة فكيف يكون العمل ، فإذا ترجمت الكلمات بلفظ الجبن التباس الأمر وضاعت حقيقة العلم ، فعندئذ يكون الأصوب ترجمة إحدى الكلمتين بمعناها الأصلية وهي Caseine الجبنية وأما الثانية فيبحث لها عن لفظ بالوسائل التي ذكرناها وعند العجز تعرب فيقال طورازين مثلاً ، كذلك تعترض الناقل أسماء النبات مما ليس له مقابل في العربية أو كان اسم النبات مأخوذاً من اسم مكتشفه فهذا النبات يسمى بأحد أوصافه أو خصائصه كما فعل اليونان في تسمية كثير من النبات اذ قالوا Aristolochie ومعناه الفاضل

لنفساء لانه كان يعطى للنفساء ، وقالوا polypode كثير الأرجل ، و Apios
الحدقي لانه يشبه الحدقة ، Echium رأس الأفعى ، Myosotis آذان الفار ،
Buglosse لسان الثور ، cynoglosse لسان الكلب و hippoglossum
لسان الفرس ، Orobanchه خائق الكرسة وهو الهالوك بمصر ، Buph
thalmon عين البقر ، Staphysagra زبيب الجبل ، الخ مما لا يحصى ، كذلك
فعلت العرب فى تسمية النبات فقالت أحداق المرضى وآذان الفار وآذان الفيل
وآذان الأرنب وآذان الجدى وأصابع الفتيات وأطباء الكلبة لشبهها لمسمياتها ،
وبصل الفار قيل أنه يقتل الفار ، وبقلة خراسانية لكثرتها فى خراسان ، وبقلة
الضرب قيل أنها تقتل الضرب ، وبقلة الحقاء لتبها فى ممر المياه ، والحالب لأنه
يشفى أورام الحالب ، وحب الفقد لانه يفقد النسل فيما زعموا ، وحشيشة السنور
لأن السنانير اذا رأته فرحت ، وحشيشة السعال ، وحشيشة الأفعى تقتل الثعابين
وخائق الذئب والنمر ، وخروب مصرى وهو القرظ وخصى الكلب له أصل
شبيه بالخصى ، وخصى الثعلب مثله وخلال مأمونى وهو الاذخر لأن المأمون كان يتخلل
به . وذنوب الخيل . وذنوب الفارة وذنوب ثلاث حبات . وذنوب خمسة أصابع . وذنوب
ثلاث ورقات . وذنوب ألف ورقة . وذنوب ثلاث شوكت . وذنوب مئة شوكة . وذنوب مئة
رأس . ورجل الغراب لأن ورقه يشبه رجل الغراب . ورنجيل الكلاب بقلة
تقتل الكلاب . وزيتون الأرض لأن ورقه يشبه ورق الزيتون . وسم السمك
لانه يقتل السمك . وشجرة الحيات لانها تأوى اليها . وشقائق النعمان سمي
بذلك لأن النعمان ابن المنذر حين ولى الخيرة كان يعجبه فنقل اليه ما أملا
به البادية وكان يسكنها فى زمانه ويسمى الشقيق ، وشوكة عربية ، وشوكة يهودية ،
وشوكة بيضاء ، وشوكة زرقاء ، وشوكة منتنة ، وظفر النسر ، وعصى الراعى
يشبه غصنها عصى الراعى ، وعنب الذئب ، وعنب الثعلب ، وعود العطاس ،
وفلفل القروود ، وقاتل النحل ، وقاتل العلق ، وقاتل أبيه ، سمي بذلك لأن نبتة
لا يجف حتى يطلع آخر ، وقاتل أخيه وهى خصى الثعلب سمي بذلك لأن أصله
شبه زيتونين احدا هما ممتلئة والأخرى متشنجة فتظهر المتشنجة وتمتلئ وتنشج

الممتلئة وتذهب ، وقاتل نفسه لأنه يأكل نفسه ويقتل وقتاء النعام وهو الحنظل
وكرمة بيضاء وكرمة سوداء وكرمة شائكة وكزبرة البئر وكف الضبع وكف
الهر ، وكف سريم ، وكوكب الأرض شجرة تضيء بالليل ، ولسان الثور ورقه
كلسان البقر خشونة ، ولسان العصفور ولسان السبع ولسان الكلب وليف
البحر ، ومصلح الأنظار لأنه يقوى النظر ومزمار الراعي ومسواك القروود سميت
بذلك لأنها تصبغ الفم إذا استيك بها كما يعرض للقروود ، مشط الراعي ، ممسك
الأرواح ، ورد الحمير ، ورد منتن الخ مما لا يعد

وهناك طريقة أخرى أعم نفعاً وأسهل عملاً وهي أن يؤتى بالنبات الغريب
مما لا اسم له في العربية ويستنبط في أمكنة مختلفة من البلد ويترك للفلاح يسميه
بحسب ما يجول في ذهنه مما يراه من صفات أو مميزات للنبات وأظن أنه قد حصل
ذلك كثير أفي الأيام الأخيرة في مصر ، إذ استجلبت إلى مصر نباتات كثيرة
وبلذت ولم تكن لها غير أسمائها الأعجمية ، فسمها الفلاح أبا خنجر ، وأبا الركب
وأبا عين صفراء ، وست الحسن ، وطرطور الباشا الخ من الأسماء التي خطرت في
الذهن متناسبة مع صفات أو خواص النبات

أما المصطلحات الكيميائية فاسماء المعاني فيها تترجم ولو بكلمتين وأما أسماء
الأجناس من العناصر فتترجم أو يشتق لها اسم من إحدى صفاتها أو خصائصها كما
فعل في النبات ، وإذا اكتسب الاسم الأعجمي شكل العلمية أي صار كالعلم
العلم فإنه يعرب حفظاً لمنزله العلمية وانسجام المعاني

وأما الزيادات والأضافات المميزة للأجسام بعضها من بعض في أحوالها
المختلفة فهي نوعان فما كان منها دالاً على النسبة فإنه يلحق به علامات النسبة
العربية وما كان دالاً على صفة فيرسم كذلك مثل

حامض الكبريت	بدلاً من حمض كبريتيك	acide sulfurique
الحامض الكبريتي	» » كبريتوز	acide sulfureux
حامض الأزوت	» » أزوتيك	acide azotique
حامض أزوتي	» » أزوتوز	acide azoteux

حامض الكلور بدلاً من حمض كلوريدريك *acide chlorhydrique*

حامض كلورى » » » كلوروز *acide choreux*

وأما الزيادات الدالة على تنويع العناصر فإنها تعرب كما هي مثل *amin* ، *tri* ، *di* ، *methy* ، *ol* ، *al* ، *amide* الخ والألفاظ العددية تترجم مثل *mono* الخ فإنه يقال فيها مفرد وثنائي وثلاثي أو المثلث الخ بحسب ذوق التركيب ولما كان علم الكيمياء هذا بحر لا قرار له وألفاظه كلها مرتبطة بعضها ببعض فإنه يحسن دائماً الهوادة في وضع الألفاظ وعدم العجلة في التسمية، والتعريب في أكثر الألفاظ محمود، والا اختلط الأمر وضع العلم، فإن ما يحسن ترجمته في موضع قد يقبح جداً في موضع آخر ولا يصلح له إلا التعريب وهذه مسألة يحلها الذوق

في بدء النهضة العربية كان النقل يكاد يكون محصوراً في اللغتين الفارسية واليونانية فضلاً عن السريانية التي هي شقيقة العربية وكان النقل أقل من ذلك من الهندية مباشرة، فكانت تترجم الكتب الهندية إلى الفارسية ومن الفارسية إلى العربية، والآن أصبح النقل من الفارسية معدوماً وأعني نقل كتب العلم العصري وقد اقتبست العربية من الفارسية ما احتاجت إليه ولم يبق في الفارسية شيء جديد يؤخذ عنها، وهي نفسها في حاجة إلى الأخذ عن العربية فيما يختص بالعلم العصري، وأما اللغة اليونانية لغة العلم والحكمة في العصر القديم، فقد حل محلها الآن لغات أوروبا، فاستبدلت هذه اليوم بتلك اللغة فلاقتباس يقع الآن من لغات أوروبا كالفرنسية والانكليزية والألمانية واليطالية الخ وإن كانت هذه اللغات إلى الآن تأخذ ألفاظها من معين اليونانية واللاتينية

وعليه فأننا سنذكر فيما يلي كيف كانت تعرب الأسم الأعجمي وتنقله إلى لغتها، وهو ما قصدناه بكتابنا هذا وقد وصلنا إليه بالمطالعة الكثيرة، والاستقراء المتواصل، حتى اهتدينا إلى أصول يمكن اتخاذها قواعد ثابتة للتعريب يتقاس عليها ويجرى على نسقها، وذكرنا عند الاقتضاء كل خاصية من خصائص

نشره العربية يمكن تطبيقها والسير عليها في التعريب ، فأحكمنا بذلك قواعده ونظمنا أساليبه حتى جعلناه دستوراً يتبع في كل مصر من بلدان الشرق ، فتصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الألفاظ في المصطلحات وكذلك آداب اللغات التي تستمد المعونة من اللغة العربية ، فيسهل العلم وتتوحد مناهجة ويعم نشره بأذن الله

٢٩ — باب في حروف الهجاء ومقارنتها

قدمنا أن من اللغات التي وقع النقل منها إلى العربية أكثر من غيرها قديماً هي اللغة اليونانية وكان قياس العرب في التعريب على منطق حروفها ، وعلى ذلك يتعين علينا أن نأتي هنا بالألفباء اليونانية ونردفها بما يقابلها من الحروف اللاتينية وكذلك نطقها بالعربية حتى يسهل تطبيق الحروف عند النقل ومن المعلوم أن الألفباء اليونانية مأخوذة عن الفينيقية وهذه والعبرية سواء وهي اثنان وعشرون حرفاً كما يأتي أ ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت فأخذ اليونان من هذه الحروف تسعة عشر حرفاً وأهملوا منها الواو ، والقاف لشبهها بالكاف والكاف يقابلها عندهم كَبَا Kappa (K) وكذلك الصاد أهملت لأن الزين تشبهها وتحل محلها زِينَا Dzeta (Z) اليونانية والباقي من الحروف الفينيقية التسعة عشر حرفاً أضافوا إليه خمسة أحرف وهي $\nu \varphi \chi \psi \omega$ فصارت حروف الألفباء اليونانية أربعة وعشرين حرفاً تبينها في الجدول الآتي :

الحروف اليونانية	الحروف اللاتينية	النطق بالحروف اللاتينية	النطق بالعربية
A α	a	Alpha	ألفا
B β	b	Vêta	فيتا
Γ γ	g	Gamma	غاما
Δ δ	d	Dselta	ذلتا
E ε	é courte	Épsilon	أبسيلون
Z ζ	z	Dzêta	زيتا
H η	è longue	êta	ايتا
Θ θ	th	Thêta	ثيتا
I ι	i	Iôta	يوتا
K κ	k	Kappa	كبا
Λ λ	l	Lambda	لمدا
M μ	m	Mu	مو
N ν	n	Nu	نو
Ξ ξ	x	Xi	كسي
O ο	o courte	Omikron	أوميكرون
Π π	p	Pi	بي
Ρ ρ	r	Rhô	رو
Σ σ	s	Sigma	سيجما
T τ	t	Taf, Tau	تاو
Υ υ	u	Upsilon	أوبسيلون
Φ φ	ph	Phi	في
Χ χ	ch	Chi	خي
Ψ ψ	ps	Psi	بسي
Ω ω	ô longue	Omêga	أوميغا

٣٠ — باب في قواعد التعريب

تذكر في هذا الفصل قواعد التعريب كما استنتجناها بالاستقراء حسب ترتيب حروف الهجاء اللطينية ونسب كل قاعدة بالخاصية من خصائص اللغة العربية التي تنطبق عليها هذه القاعدة متى وجدت هذه الخاصية

الابتداء بالكلمة العربية

خاصية — العرب لا تجمع بين سا كنين ولا تبدئ بسا كن الخ

قاعدة

إذا ابتدأت الكلمة الأعجمية المراد تعريبها بحرف سا كن وذلك كثير في اللغات الأعجمية فانه يزداد في أول الكلمة المعربة همزة قطع أو يحرك هذا الحرف السا كن بحركة مثاله :

Tripolis	أَطْرَابُلُس	أطرابلس	Platon	أَفْلَاطُون
Grenade	أَغْرِنَاطِه	أغرناطه	France	أَفْرَنْسَة
Flandre	أَفْلَنْدَر	أفندر	Smyrne	أَسْمَرْنَا (أزمير)
Plutarque	أَفْلُو طَرْخَس	أفلوطرخس	Thrace	تَرَّاقِي
Ptolomée	أَبْطَلُومِيُوس	أبطلوميوس	Français	أَفْرَنْسِيْس
Stephan	أَصْطَفَن	أصظفن	Troie	أَطْرُويَا
chrystophorus	أَخْرُصْطُفُورُس	أخرصظفورس	Stoechus	أَسْطُخُوس (نبات)
Plinius	أَفْلِينِيُوس	أفليديوس	Scordium	أَسْكَرْدِيُون (نبات)
Spinacia	أَسْفِينَاخ (نبات)	أسفيناخ (نبات)	Scineus	أَسْكَنْقُور أو سَتَنْقُور
Sponge	أَسْفَنْج	أسفنج	(حيوان)	
Scolopendre	أَسْقُولُوفَنْدَرِيُون	أسقولوفندريون	Scille	أَشْقِيل (نبات)
Styrax	أَسْطَرْكَ أو سَطْرَك (نبات)	إسطرك أو سطرک (نبات)	Crètes	أَقْرِيْطَش

حرف A

إذا وقع في أول الكلمة يرسم همزة وإذا كان في وسط الكلمة وبعده حرف ساكن يكتفى بفتح ما قبله وإذا كان ما بعده متحركاً أو في الآخر يرسم ألفاً لينة مثال ذلك

Alpes	ألفس (جبل)
Appolonie	أفلونيا
Attique	أطيقى
Arcadie	أرقاديا
Allemaigne	ألامانية
Anaxagore	أنكساغورس
Andrea	أندرا

ae و ai يرسمان همزة مكسورة أو همزة بعدها ياء في أول الكلمة ويرسمان ياء في وسط الكلمة وألفاً في آخر الكلمة مثاله

Aelianus	إليانوس
Agathadaemon	أغاثاديمون
Lucae	لوقا
au و ab	يرسمان ألفاً مضمومة أو ألفاً مفتوحة بعدها واو سواء كانا في أول الكلمة أو في الوسط مثاله :

Autolycus	أطولوقس
Ménélaus	مانالاولس
Chrysaorius	خروساوريوس
Mauritanie	ماوريطانيا

وأحياناً ترسم ao ألفاً للتخفيف مثل Laodice لاذيق و A في أول الكلمة قد ترسم عينا في بعض الأحيان للتخفيف مثل Ascalon عسقلان (مدينة يونانية بساحل فلسطين) وهذا بناء على الخاصية الآتية من خصائص اللغة وهي الاختلاف في ابدال الحروف نحو أن زيداً وعن زيداً

حرف B

ينقل هذا الحرف إلى العربية باء لأنه في اللغات الأعجمية يشبه نظيره في اللغة العربية شبيهاً تماماً مثاله

Bérénice	برنيقا (بني غازي)
Eusebius	أوسابيوس
Probos	فروبوس (ملك)
Sibylla	سيبولا (اسم امرأة)

حرف C

هنا الحرف يقابل Kappa K كَبَا في اليونانية وينطق كافاً في اللاتينية أيضاً وينقل الى العربية كافاً مثال ذلك

أرقاديا	Arcadie	قورنتوس	Corinthe
سقوتيا	Scythie	قوراني	Cyrène
أنطيقور	Anticyre	قوقلادس	Cyclades
سوراقوزا	Syracuse	لوقيا	Lycie
قانونفس	Canope	قوزيقس	Cyzique
أنقره	Ancyre	قوس	Cos
قنيدس	Cnide	طقيطوس	Tacitus
خلقيس	Chalcis	مركيان	Marcien
قُفريان	Cyprian	ماقدونية أو ماقدونية	Macédoine
نيقية	Nicée	نقيطا	Niceta

وفي الكلمات غير اليونانية الأصل إذا كان نطقه كالسين في لغته يكتب كذلك والحرف المركب CH هو في اللاتينية يقابل X (خي) في اليونانية ويحل محله في جميع اللغات الهندية الأوروبية وينقل الى العربية خاء وفي بعض الاحيان كافاً إذا كانت الكلمة يونانية الأصل مثال ذلك

خلقدونية	Chalcéd oine	خيوس	Chios
خاماسوق (نبات)	Chamaesyce	خامابوقى (نبات)	Chamaepeuce
خمالا (نبات)	Chamailea	خامادفنى (نبات)	Chamaedaphne
كاذريوس (نبات)	Chamaedrys	خاماقيسس	Chamaecissus
خراسيا (نبات)	Charaseae	كافيظوس	Chamaepitus
كروسيغوس	Chrysippe	أرخيلاوس	Archélaus
خروساوريوس	Chrysaorius	أطوخس	Eutyches

و ch في اللغات الأوروبية غير اليونانية ينقل شينا إذا كان نطقه كذلك

حرف D

يقابل في اليونانية حرف Δ (ذلتا) وعليه اذا كانت الكلمة التي فيها هذا الحرف يونانية الأصل يرسم ذالا معجمة واذا كانت غير يونانية الأصل يرسم دالا مهيمة ويجوز أن تهمل الذال في الكلمة اليونانية الأصل وترسم دالا مثاله

Théodosius	ذو سقوريدس
Olympiade	مقدونيا
Diocletianus	أبيديميا أو أفيديميا
Diogène	فيندارس
Epididymus	لاذيق
Dioteles	ماده

حرف E

يرسم هذا الحرف بالعربية همزة اذا كان في أول الكلمة ، ويرسم ألفا لينة اذا كان في الوسط وفوقه علامة المد accent ويفتح ما قبله فقط اذا كان خاليا من علامة المد وفي بعض الاحيان يرسم ياء وفي آخر الكلمة يرسم ألفا أو هاء مثاله

Elvire	أفيفانوس
Erasistratus	أنباذقلس
Messène	قوراني
Timée	ماغرا
Attique	فانوس
Méroe	سوربانوس
Eratrie	بوتيا
Théophile	لاونطيوس
Théon	جغرافيا (جغرافيا)

Libye	ليبوى	Théodosius	ثاوذوسىوس
Crètes	أقريطش	Homère	أوميروس
Cléopatre	قلاوفطره	Gregor	غريغور
EU هذا الحرف المركب يرسم همزة مضمومة أو بعدها واو وفى الوسط يرسم واواً وقليلًا ما يرسم ألفاً مثاله			

Eurgates	أرغاطس	Euares	أوارس
Europe	أوروبا	Euphator	أوفاطور
Eusthate	أسطات	Eutyches	أطوخس
Euclide	أقليدس	Theuthron	طوثرون

حرف F

هذا الحرف فى اللاتينية يقابله Φ فى اليونانية ويرسم فاء بالعربية مثاله
France أفرنسة Festus فسطوس

حرف G

هذا الحرف يقابله Γ فى اليونانية غمًا ويرسم فى العربية غينا مثاله

Galatia	غالاتيا	Mégare	ماغرا
Eurgates	أورغاطس	Phrygie	فروغيا
Anaxagoras	أنكسأغورس	Norvège	نرباغه
Agenor	أغنور	Anagallis	أناغاليس (نبات)
Anagyris	أناغورس (نبات)	Hypoglosson	أوبغلصن (نبات)
Agalloche	أغالوخي (نبات)		

على أن هذا الحرف يجوز نقله الى العربية وابداله كلفاً أو قافاً أو جيماً بناء على خاصية فى اللغة وهى: ان من سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام

بعض فقد ذكر ذلك أحمد بن فارس وسيبويه وابن دريد في الجهرة وابن درستويه في شرح الفصيح ، قال السيوطي في المزهرة الحروف التي يكون فيها البدل في المعرب عشرة ، خمسة يطردها وهي الكاف والجيم والقاف والباء والفاء وخمسة لا يطردها وهي السين والشين والعين واللام والراء فالبدل المطرد هو في كل حرف ليس من حروفهم كقولهم كريح الكاف فيه بدل حرف بين الكاف والجيم فابدلوا فيه الكاف أو القاف نحو قريق أو الجيم نحو جروب وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فمرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء ، وأما ما لا يطردها فيه الابدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم اسماعيل أبدلوا السين من الشين والعين من الهمزة وأصله اسمائيل وكذلك قفشليل أبدلوا الشين من الجيم واللام من الراء والاصل ففجليلز ، وأما القاف في أوله فتبدل من الحرف الذي بين الكاف والجيم

وذكر أحمد بن فارس ان مثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم هي من الحروف التي يجوز فيها الابدال وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمك اذا اضطروا قالوا كمل وقالوا مردكوش ومردقوش ومردجوش وقالوا Goudofroy كندفري وجاوشير وكاوشير (هذه الكلمات فارسية ماعدا كندفري سقناها للتدليل)

حرف H

هذا الحرف لا وجود له في لغة الاغريق ويوجد في جميع اللغات الأخرى وعليه فانه في الكلمات المتصدرة بهذا الحرف وأصلها يوناني يهمل هذا الحرف عند نقل الكلمة الى العربية كأنه لم يكن ويعرب ما بعده بحسب القواعد المذكورة وفي غير ذلك ينقل هاء مثاله :

Hostibius أسطيبيوس

Hipparque إفرخس

Héraclée أركليا

Homère أوميروس

Hellespont ألسبندس

Hippocrate إبقراط

Hellas	أَللاس	Herostrates	أَرْسُطَرَاطِس
Hipparchus	إِبْرَخُسْ أو إِيْفَرخُسْ	Hermes	أَرْمِسَا
Honorius	أَنْوَرِيوس	Hostilius	أُسْطِيلْيوس
Herpyllis	أَرْبُلْيِس	Hadrianus	أَدْرِيَانوس

على أن العرب قد أثبتوها في كلمات قليلة جدا تعد على أصابع اليد فقالوا هَرْقُل
في Hercule و هَرْقُل في Héracles وهيرودت في Hérodote

حرف I

ينقل هذا الحرف الى العربية همزة مكسورة أو بعدها ياء في الابتداء أو
تمثل بكسرة في الحرف الذي قبلها أو ياء في الوسط مثاله

Illyrie	إِيلُورِيَا	Isocrate	إِسُوقْرَاطِس
Iphicianus	إِفِيْقِيَانوس	Aristippus	أَرْسُطِيفُوس
Pericles	أَفَرْقِلِس	Appenin	أَفَانِنْ (جبل)
Psophis	فُسُوفِس		

حرف J

هذا الحرف يقابل يوتا اليونانية وينقل ياء وفي بعض الاحيان يهمل اذا
كان في أول الكلمة ويعرب الحرف الذي يليه مثاله :

Jovinianus	يُوبْنِيَانوس	Julianus	يُولْيَانُس
Juvenalis	يُوبْنَالِس	Jamblichus	أَمْبْلِيخُوس

حرف K

هذا الحرف ينقل قافا وغالبا كافا مثاله :

Peri Kineseon فارى قِينَسَاون (كتاب الحركات لأرسطو)

حرف L

هذا الحرف يشابه أمثاله في كل اللغات تقريبا في النطق ويرسم لاما بالعربية

مثاله :

Pologne فولونيا

Hellespont أَلْسَفُطُسْ

Alpes أَلْفَسْ

Hellas أَلَّاسْ

Apollonie أفلونيا

على ان اللام والراء هما من الحروف الخمسة التي لا يطردها فيها الا بدال كما جاء في الخاصة السابقة التي نص عليها اللغويون، وقد حدث فعلا ان أبدل العرب الراء من اللام عند تعريبهم بعض الأعلام ولكن ذلك قليل جدا مثل Balduin فقالوا بردويل و Roderic قالوا فيه لذريق الخ

حرف M

هذا الحرف ينطق بشكل واحد في جميع اللغات ويرسم ميا مثاله :

Allemagne ألامانيا

Ménélaus مانالائوس

Macédoine ماقاذونية أو مقاذونية

Thémistius ثامسطيوس

حرف N

يرسم بالعربية نونا مثاله :

Pindares فندارس

Néron نارون

Epiphanus أفيفانوس

Diogène ذيوجانس

Honorius أنوريوس

Ephithimon أفطيمون

Andrea أندرا

Ancyre أنقرة

حرف O

يرسم بالعربية ألفا مهموزة مضمومة أو ألفا وواو إذا كان في أول الكلمة
وواو فقط إذا كان في الوسط أو في آخر الكلمة مثاله :

Oribasius أوريباسيوس	Ostanes أسطانس
Théophile ثاوفيل	Olympius أولمفيوس
Hastibius أسطيبيوس	Porphyrius فورفوريوس
Chrysaorius خروساوريوس	Protagoras فروطاغورس
	Oisis أواسيس

حرف P

هذا الحرف لا يوجد له نظير في العربية ولكنه خاص باللغات الهندية
الأروفية وينقل الى العربية بأقرب الحروف نطقا اليه وهو الفاء بناء على الخاصية
الآتية

خاصية

قال أحمد بن فارس: حدثني علي بن أحمد الصبّاحي قال سمعت ابن دريد
يقول: حروف لا تتكلم بها العرب الاضرورة فاذا اضطروا اليها حوّلوها عند التكلم
بها الى أقرب الحروف من مخارجها ، فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء
والفاء مثل بور (بالباء الفارسية) اذا اضطروا قالوا فور
وأیضا فان الباء والفاء هما من الحروف التي يطرد فيها الابدال مثاله

Pethion فثيون	Porphyrius فورفوريوس
Pythagoras فوثاغورس	Pericles أفرقليس
Philippus فيليفسوس	Platon أفلاطون

أنطيفطر Antipater	أوفاتور Eupatore
فاناوس Pénée	فروبس Probus
فيليفطر Philipater	قلاوفطره Cléopatre
إفرخس Hipparque	أرسطيفس Aristippe
فورون Pyrrhon	كروسيفس Chrysippe
فسوفس Psophis	أفانن (جبل) Appenin
فولس Paule	ألفس (جبل) Alpes

وأحيانا تقلب باء عربية عند ما يلزم التخفيف مثل

أنبدقلس Empédocle	ابقراط Hippocrate
-------------------	-------------------

حرف Q

هذا الحرف يرسم قفالانه في موضع C اللاتينية او Ch اليونانية خي مثاله

قوزيقس Cyzique	أطيقى Attique
	قنطوس Quintus

حرف R

هذا الحرف يماثل اخوانه في كل اللغات ويرسم في التعريب راء مثاله

أرسطوفنس Aristophanus	روفس Rufus
أغنور Agenor	قلاوفطرة Cléopatre

وفي بعض الاحيان تقلب لاماً مثال Roderic لذريق لقرب مخارجهما

حرف S

يرسم سيناً بالعربية وفي بعض الاحيان صاداً ويرسم شيناً في النادر مثاله

سقراط Socrate	سنبليقيوس Simplicius
أراسيسترطس Erosistratés	مَسَّانَا Messène
أَسْطَات Eusthate	ثَامَسْطِيوس Thémistius
أَفْسِقْلَاوس Hypsiclis	اسطفانس او اصطَقْن Stephens
صقلاب Sclave	صقلية Sicile
ألفنش Alphonse	لشكري Lascaris
لَبْطَش Leptes	اقريطش Crètes

حرف T

ينقل الى العربية طاء ونادراً ينقل تاء مثاله

طاطي Tati	أنطيفطر Antipater
طيطوس Titus	غالاتيا Galatie
طالنت (١٢٥ رطلا) Talent	طيماوس Timée
	باوطيا Béotie

والحرف المركب th ينقل الى العربية ثاء مثاله

ثاؤفرستس Théophraste	ثاؤن Théon
ثامسطيوس Thémistius	ثالس Thales
ثاودورس Théodorus	ثاودوسيوس Théodosius
	ثاسلوس Thessalus

لذا تقدم هذا الحرف Th وهو لسانی حرفُ لسانی آخر مثل S وكلاهما له صفيـر

فينقل Th طاء لتعذر النطق بحرفين متتاليين من نطق واحد مثاله

بورسْثَانَس Borysthène	أَسْطَات Eusthates
------------------------	--------------------

حرف U

ينقل هذا الحرف واوًا مثاله

Thapsus ثافسوس

Lycus لوقوس

Europe أوروفا

Mauritanie ماوريطانيا

حرف V

ينقل الى العربية واوًا او باءً مثاله

Valérianus والاريانوس

Valentianus ولنطيانوس

Sévérianus سوريانوس

Sévères سورس

Norvège نرباعة

Sclave صقلاب

Vitellius بيطاليوس

Elvire ألبيرة

Novatus ناباطس

Jovinianus يوبنيانوس

Juvenalis يوبنالس

وفي بعض الاحيان يهمل هذا الحرف في أول الكلمة ويعرب ما بعده مثاله

Vesposianus أسفسيانوس أو يزداد عليه همزة لتسهيل النطق على اللسان مثاله

Valérianus أو لاريانوس

حرف W

هذا الحرف لا وجود له في اللغة اليونانية ولا في اللغة اللاتينية وان وجد في الاخيرة

فهو مقلوب عن حرف V وهو شائع في اللغات الاخرى المستحدثة من هاتين

اللغتين فهو يعامل في النقل الى العربية معاملة حرف V والغالب ان يرسم واوا

حرف X

يرسم بالعربية كما ينطق أى اكس أو أقس مثاله :

Anaximenes أنكسيمانس

Anaxagoras أنكساغورس

Maximianus مقسميانوس

Maxantius مقسنطيوس

Dux دوقس

حرف Y

ينطق هذا الحرف باليونانية ou, u (أو) وينقل واواً الى العربية أو يضم

ما قبله مثاله :

Lycie لوقيا

Phrygie فروغيا

Cyclades قوقلادس

Illyrie إللوريا

Mysie موزيا

Cyrène قوراني

Byzantie بوزنطية

Sibylla سيبولاً

Scythie سقوتيا

Ancyre أنقره

Libye ليبوا

Anticyre أنطيقور

حرف Z

ينطق في كل اللغات زايّاً وينقل الى العربية كذلك مثاله

Zenon زينون

خاصية

من سنن العرب الحذف، قال ابن جني (١) قد تحذف الهمزة نحو ناس وأصله أناس فحذفت الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وأقول أن العرب اتبعت في تعريب الكلمات الأعجمية هذه السنة تخفيفاً للنطق كدأبهم في التسهيل على لسانهم فقالوا :

Iconium قونية

Apamia فامية (بلدة)

Episcopus أسقف

Eüsope زُؤفا (نبات)

Thessalonique صلوئيقي

(١) التصريف الملوكي

قاعدة

اذا تشابه كلمتان أعجميتان في التعريب وان اختلفتا في رسمهما الأصلي
تضاف الى كل من الكلمتين العربيتين صفة تميز احدهما من الأخرى مثاله
Hysopè زوفا يابس (نبات) Oesype زوفا رطب (نبات)

آخر الكلمة المعربة

من الأمثال التي ذكرتها للاستشهاد يرى فرق بين لفظها العربي ولفظها
الافرنجى في الانتهاء فهذا الاختلاف البسيط منشؤه أن المعرب أعرب عن الاصل
اليونانى ولو كتبته على أصله للزمنى حروف يونانية ومطابعا على غير استعداد
لذلك على أنه من السهل المطابقة بين الشكليين

وقد استخلصنا قاعدة من ذلك وهي ان كل كلمة تنتهى بحروف
um وكانت يونانية الاصل ترسم بالعربية ون لانها مقلوبة عن on
وهو الانتهاء العادى للكلمات اليونانية التي ليست بمذكر ولا مؤنث مثاله

Amomum أمومُن حَمَامَا (نبات) Ocimum أقيمُن (بازروج)
Sisymbrium سيسم بريون (حرف الماء نبات) Erysimum أروسيمُن (تودرى)
Myriaphyllum مِرْيَا فُلُن (حِزْ نَبْكِ نبات) Cirsium قِرْسِيُون (ذنب السبع)
Buniun بونيون أرقطيون (نبات) Lycium لوقيون (خُضُّض الماء)
Hélénium ألانيون راسن (نبات)

تنبيه

جميع القواعد التي ذكرتها هي التي دل عليها الاستقراء المتواصل وهي لا تخلوا
أبداً من استثناء والعمدة فيه على سهولة النطق على اللسان ومقارنته للأوزان
والخصائص العربية ، وقد يعترض على بعض تلك القواعد بصور مختلفة أنت بها
الكلمات في المؤلفات العربية، فدفعاً لهذا الاعتراض أقول ان منشأ هذا الاختلاف

أحد أمرين، الأول أن التعريب في ابتداء الأمر كان مطابقاً لهذه القواعد وإنما كثرة النسخ هي التي أوجدت التحريف والتصحيف

الثاني أنه كلما طال الزمن ضعفت السليقة العربية وأهملت هذه القواعد أو تهاونوا فيها حتى قرّبوا بين المعرب والأعجمي ومجرد النظر في قديم المؤلفات وحديثها والمقارنة بينهما يثبتان ذلك، واتباع تلك القواعد يسهل جداً تصحيح كثير من المعربات وردّها إلى الوجه الصحيح

وان الكلمات التي سقتها أمثالا للتعريب هي أسماء أعلام مشهورة في التاريخ والعلم فهي إما علكم على ملك عظيم أو أمير كبير أو فيلسوف مشهور أو على بلد من البلدان أو قطر من الأقطار التي اشتهرت في التاريخ وما كان منها اسماً لنبات فقد ذكرت ذلك بجانبه حتى يسهل ادراكه وكلها مأخوذة عن أشهر المؤلفات العربية وأعظمها تدقيقاً

وانى لا أدعى العصمة والكمال فيما ذكرت فقد أكون سهوت عن شيء أو غابت عني أشياء فلي من حلم أهل الفضل وتسامحهم أكبر شفيع

تم تبليضه في ليلة الأربعاء اثمان بقين من المحرم سنة اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الموافق أربع خلت من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٣

والحمد لله على كل حال



بيان الخطأ والصواب

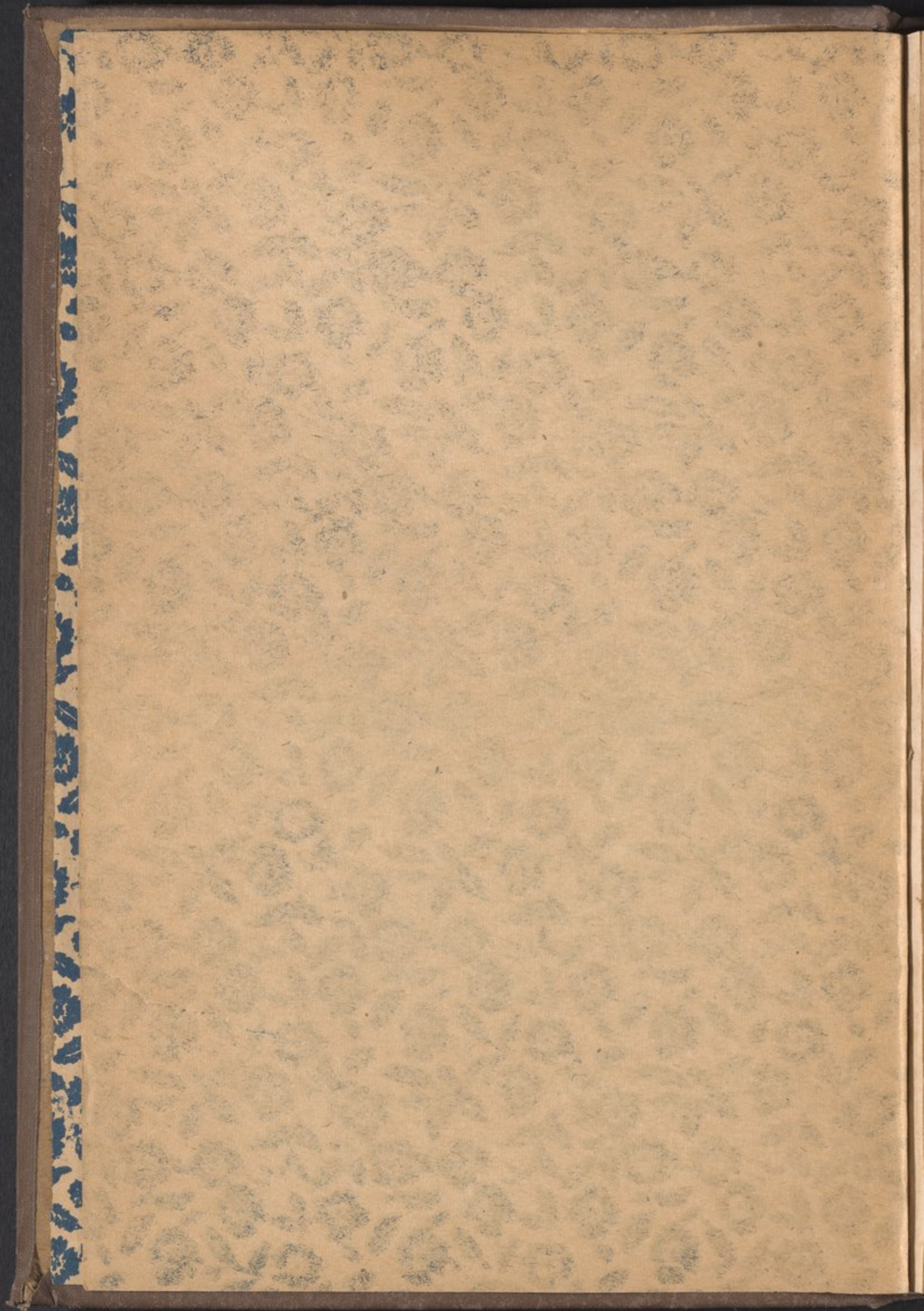
خطأ	صوابه	سطر	صفحة
انتزعتة	انتزعتة	١٤	٥
لتذليله	تذليله	٧	٥
والأرهاق	والأرهاق	١٥	٧
والثاء	والثاء	١٤	١٤
فعلة	فُعلة	٢١	١٦
يحذف	يحذف	٢٣	١٦
تؤوية	تؤويه	١٦	٢٩
مخرج	مُخرج	١٩	٣٣
ليسوهم	وهما	١٣	٥٥
الالهين	الالهيين	١٩	٦٦
رائهم	رائهم	٩	٦٩
طبعتين	طبعتين	١٦	٧١
لهة	لهجة	٢٣	٧٦
الحامين	الحامين	١٩	٧٨

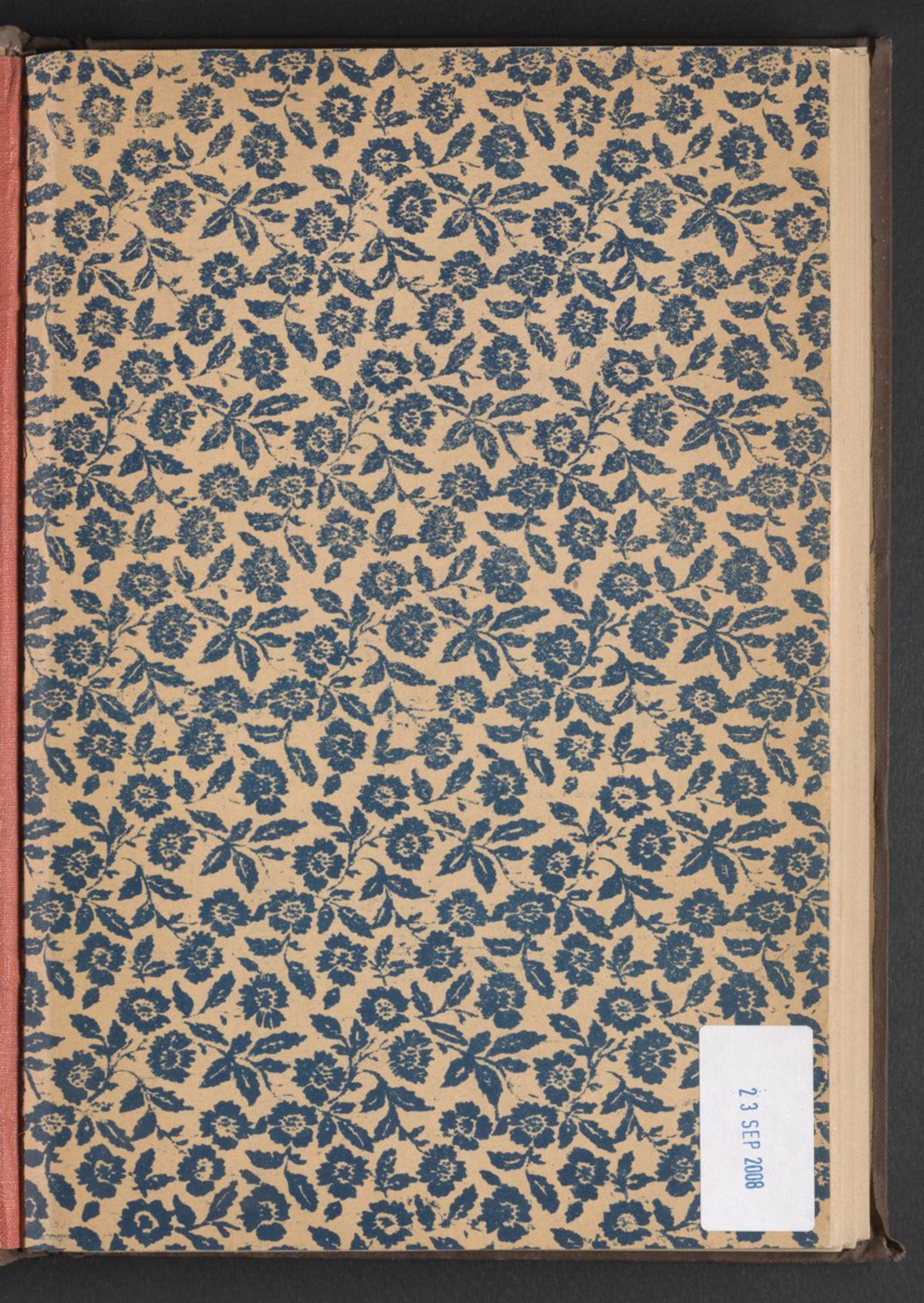


فهرست

صنحة	
٥	خطبة الكتاب
٨	١ - باب القول في أصل اللغة العربية
١٥	تكرير الاصل للدلالة على تكرير الفعل
١٦	٢ - باب القول في معنى اللغة
١٧	٣ - باب في علة تسمية العرب
٢١	٤ - باب في موطن اللغة العربية
٢٣	٥ - باب في علة سكن البوادي من عرب البدو وغيرهم
٢٥	٦ - باب في النسب في العرب
٢٩	١ - فصل في طبقات الانساب
٣٢	٢ - فصل في تسلسل النسب
٣٢	٣ - فصل في العرب القحطانية
٣٦	٤ - فصل في العرب العدنانية
٤٢	٧ - باب في لغة جزيرة العرب واختلافها
٤٥	١ - فصل في اختلاف لغة العرب
٤٧	٢ - فصل في المذموم من اللغات
٤٨	٨ - باب في مراتب كلام العرب
٥٠	٩ - باب في بلاغة القرآن
٥٤	١٠ - باب في اللغة العربية بين اللغات
٥٧	١١ - باب في القول في مهد الساميين
٥٨	١٢ - باب في تقسيم اللغات السامية
٦٠	١ - فصل في تقسيم اللهجات الآرامية
٦٣	١٣ - باب في السبب الداعي الى نقل فلسفة اليونان وعلمها الى اللغة السريانية قبل النهضة العربية
٧٣	مدارس التعليم عند السريان
٧٤	١٤ - باب في اللغات السامية الجنوبية

	صفحة
١٥ - باب في اللغة العامية أو الدارجة	٧٦
١٦ - باب في القول في العربي الجنوبي	٧٧
١٧ - باب في القول في تدوين اللغة واستنباط النحو والصرف	٨٢
فن النحو	٨٣
فن التصريف أو الصرف	٨٧
فن اللغة	٨٨
١٨ - باب في القول في فضل اللغة العربية	٩١
الكنية	٩٣
الشعر	٩٤
العروض	٩٤
الأمثال	٩٥
١٩ - باب في القول في اتساع اللغة العربية	٩٥
٢٠ - باب في الكتابة العربية	٩٩
٢١ - باب في حاجة العرب الى التعريب	١٠٠
نقل الدواوين الى العربية	١٠٣
اتساع دائرة النقل والترجمة	١٠٤
٢٢ - باب في الدلالة الكتابية على الحروف الاعمجية	١٠٩
٢٣ - باب في النقل من اللغات الاعمجية الى العربية	١١٢
٢٤ - باب في القول في الترجمة	١١٣
٢٥ - باب في القول في الاشتقاق	١١٤
٢٦ - باب القول في المجاز	١١٧
٢٧ - باب في القول في النحت	١١٩
٢٨ - باب القول في التعريب	١٢٠
في دلائل الاسم المعرب	١٢١
فصل في حكم التعريب	١٢٥
٢٩ - باب في حروف الهجاء ومقارنتها	١٢٩
٣٠ - باب في قواعد التعريب	١٣٠





23 SEP 2008

